

تأليف
محمد عبد الله فوده



الإهـــــداء

بِسمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ. فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَانَ ٱللهِ وَٱللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة آل عمران ، الآيتان ١٧٣ ـ ١٧٤]



المقدمة

فى سنة ١٩٥٢ طلب إلىّ الأستاذ المرحوم محمد الصرفى محرر مجلة [**النهار**] بالمنصورة كلمة فى خمسة أسطر فأعطيته الكلمة ، فكانت هذه الكلمة وهى « **حقائق النصر** » موضوع كتابى هذا الذى فرغت من كتابته فى سنة ١٩٥٦ ، ومنذ أيام خطر لى وأنا مشغول بالتفكير فى اعداد رسائل الوعى الاسلامى « بألوانه الأربعة » :

(١) الوعى السياسى .
(٢) الوعى الدينى .
(٣) الوعى الاجتماعى .
(٤) الوعى الاقتصادى فى ضوء ما جاء بالكتاب والسنة .

وقد رأيت أن أبدأ بهذا الكتاب « **الطريق إلى النصر** » ليكون مفتاحاً لهذه الرسائل وتمهيداً لها وهو يشتمل على كثير من الوعى الدينى والوعى السياسى والوعى الاجتماعى والوعى الاقتصادى لأن الحاجة ماسة إلى ترشيد المسلمين فى هذا العصر وتوجيههم إلى ما عندهم من الكنوز النفيسة التى يفتقر إليها العالم أجمع ، وإذا كان المسلمون قد غفلوا عنها ومدوا أيديهم ليأخذوا من عند غيرهم من غربيين وشرقيين نظمهم ومبادأهم وإذا كانت هذه النظم وتلك

المبادىء لم تنجح فى إسعاد واضعيها ولم تهيىء لهم ما يريدون من أمن وأمان ، فكيف يلجأ إليها من جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس بما شرع لهم من أحكام وقوانين تضمن للعاملين بها مسلمين وغير مسلمين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

ونحن فى هذه الرسائل عاملون على تجلية الأحكام الشرعية فى ضوء ما جاء فى الكتاب والسنة حتى يعلم الناس ما عندنا مما يكفل للعالم أجمع سعادة أبدية تصلح معاشهم ومعادهم . وعندئذ يلتقون على مبادىء العدل والحق والمحبة والاخاء الإنسانى وهذا أمل تحلم به الأجيال فى حاضرها ومستقبلها .

والله أسأل أن ينفع بهذه الرسائل ، وأن يجعلها فى ميزانى ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[1] ..

المؤلف

---

(١) اقتباس من الآيتين ٨٨ ـ ٨٩ من سورة الشعراء .

حقيقة النصر

ليس النصر حلماً من الأحلام ، ولا وهماً من الأوهام ، إنما هو حقيقة ربانية ، يؤتيه الله من يشاء ، بما يشاء ، وكيف يشاء ، وهو العزيز الحكيم .

ليس النصر إلَّا انتصار حق على باطل ، وخير على شر ، وصلاح على فساد ، وهدى على ضلال ، وايمان على كفر ، وقوة على ضعف ، وسعادة على شقاء .

ليس النصر إلَّا انتصار الروح على الجسد ، وانتصار العقل على الهوى .

فمن تخلف عن نصرة الحق كان من الخاسرين **﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**[1]

ومن جانب الحق وقع فى الباطل ، وليس هناك منزلة بين المنزلتين ، فان للأمور وحدة تنظمها وللحقائق مقاييس لا تخطئها ، **﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾**[2]

(١) سورة العصر . الآيات ١ ـ ٣ .
(٢) سورة يونس . الآية ٣٢ .

الحق واحد لا يتعدد ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1]

إن الله حق ، ووحدانيته حق ، وليس وراء ذلك إلاّ الشرك ، فالشرك باطل ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[2] «من نصر الحق نصر الله ، ومن نصر الله نصره الله» ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3]

إن من حالف الباطل حالف الشيطان ، والشيطان مطرود من رحمة الله : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[4]

والشيطان هو الذى يوسوس فى صدور الناس لينحرف بهم عن الجادة ، ويصرفهم عن الصراط المستقيم صراط الله الذى هدى المؤمنين إلى طاعته ، وجنبهم معصيته ، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5]

إن شياطين الجن والانس يحملون العداوة للمؤمنين ، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[6]

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٨ .
(٢) سورة الحج : الآية ٦٢ .
(٣) سورة الحج : الآية ٤٠ .
(٤) سورة الحجر : الآية ٣٥ .
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٧ .
(٦) سورة الأنعام : الآية ١١٢ .

ولا ولاية لهم إلَّا على الكافرين ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[1]

إن الله علمنا أن نستعيذ به من شياطين الجن والإنس .

﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ . مَلِكِ ٱلنَّاسِ . إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ . مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ . ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ . مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ** ﴾[2]

الحق لا بد أن ينتصر ، ولكن فى غير عجلة الانسان .

﴿ **وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ عَجُولًا** ﴾[3] وإنما فى حكمة الحكيم العلام «**إن الله لا يَعْجَلُ بعجلة أحدكم**» (حديث شريف)

إن أفعال الله لا تخلو من حكمة ، ولا تجرى إلَّا على مشيئته ﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ** ﴾[4] ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾[5] ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾[6]

كم باطل تزيابزى الحق دهراً ، وتراءى فى ثوب النصر حينا حتى جاء أمر ربك . فزهق الباطل ﴿ **إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ وخر أهله صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾[7]

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٧ .
(٢) سورة الناس : الآيات ١ ـ ٦ .
(٣) سورة الإسراء : الآية ١١ .
(٤) سورة الإنسان : الآية ٣٠ .
(٥) سورة البروج : الآية ١٦ .
(٦) سورة الأنبياء : الآية ٢٣ .
(٧) سورة الفرقان : الآية ٢٣ .

وبين عجلة الانسان ومشيئة الرحمن تضل الهموم ، وتزل الأقدام والشيطان متربص بأوليائه ﴿**لأغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين**﴾ إن الشيطان ليعترف فى مرارة أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه .

شاء الحكيم الرحيم أن يشرح صدور عباده المؤمنين فأكد للشيطان يأسه من غوايتهم ﴿**إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ إلّا من اتّبعك من الغاوين . وإنّ جهنّم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزءٌ مقسومٌ**﴾ (١)

لقد حذر الله بنى آدم أن يفتنهم الشيطان كما فتن أباهم آدم : ﴿ **يا بني ءادم لا يفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنّا جعلنا الشياطين أولياء للّذين لا يؤمنون** ﴾ (٢)

ليس الشيطان الا الروح الخبيث الذى يزين الشر ويغوى به كما تفتن الدنيا عشاقها وتغرهم شهواتها ، فاذا ما ركنوا إليها وغرهم متاعها . ركلتهم بأرجلها . وصرعتهم تحت أقدامها : ﴿**فلا تغرّنّكم الحياة الدّنيا ، ولا يغرّنّكم بالله الغرور**﴾ وعداوتها فى هذه الحال كعداوة الشيطان ﴿ **إنّ الشّيطان لكم عدوٌّ ، فاتّخذوه عدوًّا . إنّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السّعير**﴾ (٣)

---

(١) سورة الحجر : الآيات ٤٢ ــ ٤٤ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ٢٧ .
(٣) سورة فاطر : الآيتان ٥ ــ ٦ .

لقد جعل الله الخسران حظ الشيطان وحزبه فى الدنيا والآخرة :

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَانِ ، أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾[1]

أما حزب الله فهم أولياؤه وأحباؤه **﴿أُولَئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾**[2]

إن الشيطان لا ينفك يطارد بنى آدم ، ويتربص بهم الدوائر وينصب لهم الحبائل ، وحبائله الشهوات ، ولذا شبه الرسول لمكايد الشيطان «**إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فضيقوا مجاريه بالصيام**» والصيام وسيلة الانتصار على الشهوات ، نسخرها ولا تسخرنا ، وتكون لنا ، ولا نكون لها ، فنحن نشتهى لنأكل ، ولا نأكل لنشتهى ، كما يفعل أهل الضلال والفساد أسرى الشهوات ، وعبيد الهوى **﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾**[3] **﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾**[4]

ان الخضوع للشهوات مفتاح الهزيمة والشر ، والحد من سورتها والنيل من سلطانها ، وتسخيرهم للجسم ، مفتاح النصر وطريق السيادة والعزة **﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾**[5]

---

(١) سورة المجادلة : الآية ١٩ .
(٢) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .
(٣) سورة الحجر : الآية ٣ .
(٤) سورة الاعراف : الآية ١٨٣ .
(٥) سورة يوسف : الآية ٥٣ .

« والنفس أخبث من سبعين شيطانا »

ليست حرب الشهوات بالأمر الهين ، فانها مطايا الشياطين ، إنها الباب الذى يلجه إلى النفس بوحى يوحى بالغرور ويوسوس بالشرور انها مجارى الشياطين ، وقد أمرنا بتضييقها بالصيام .

إن شهوة الطعام أساس الشهوات ومصدرها ، ولذا حذر الاسلام منها **﴿ يَابَنِى ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾** .[1]

والرسول الحكيم يقول : « **ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه** .... »

لما بعث حاكم مصر بهداياه إلى رسول الله ﷺ ، قبلها الا الطبيب ، وقال قولته الخالدة : « **نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع** » .

لقد كانت حياة الرسول الأمين مثلاً أعلى للتقشف والزهد لقد كان يجتزىء بأقراص الشعير ، وكان يربط على بطنه من الجوع لعدة أيام ، كان ينام على سرير من جريد ، وحشية حشوها ليف كان يخصف نعله بيده ، ويرقع ثوبه .

طلبت إليه ابنته فاطمة خادماً يعينها على شئونها ، فقال : « **لا أعطيك وأدع أهل الصفة تعلوى بطونهم من الجوع ، استعينى بالتسبيح والتكبير** » .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

لقد راودته الجبال الشم أن تكون له ذهباً ، فأبى أيّما إباء . لقد حكى الله تعبير الكفار لرسوله بالفقر ، ثم رد عليهم بأنه لو شاء لجعل له جنات تجرى من تحتها الأنهار وجعل له القصور العظيمة ﴿ **وَقَالُواْ مَالِ هَذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ** ﴾ . ﴿ **أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا** ﴾ ... ﴿ **تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً** ﴾[1] .

وهذا عمر (رضى الله عنه) يحذر المؤمنين من البطنة ، فيقول : « **إياكم والبطنه فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد** » ويقول : « **المعدة بيت الداء والحمية أصل كل دواء** » . ولقد كانت سيرته مضرب الأمثال فى انتصاره على شهواته ، فما كان فى عام المجاعة يأكل إلاّ خبز الشعير ، ولا يأتدم إلاّ بالزيت والخل والملح بينما ترد اله غنائم كسرى وقيصر قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، لم يسمح لزوجه أن تصنع له الحلوى فاحتالت لذلك باقتطاع جزء من راتبه وهو دراهم معدودة ، فلما قدمتها له أمر بخصم ما اقتطعته من راتبه لأنه ليس فى حاجة إليه .

وهكذا كانت المدرسة المحمدية التى صنعت التاريخ وخرجت الأبطال ، عقمت جامعات الغرب والشرق أن يلدن لهم نظيراً !

لقد رشحهم الانتصار على شهواتهم للنصر فى جميع الميادين فلما تمكنوا من هزيمة شهوة البطن ـ تمكنوا من الانتصار على شهوات الجسد جميعاً ، وشهوات الجسد طائفتان ، طائفة تتولد

---

(١) سورة الفرقان : الآيات ٧ ـ ٨ ، ١٠ .

مما يدخله من طعام وشراب ، وطائفة تقوم على ما يخرج من الجسد ، تدفعها سورة الطعام والشراب التى هى مسابح الشياطين ومعارج المعاصى ـ والمباعث على الفسوق .

إن المسرفين فى طعامهم وشرابهم يملئون أجسادهم ناراً ويشعلون فى دمائهم أوارا ، فتلتهب الأجسام ، كما تلتهب الحجارة فى نار جهنم ، فتكتوى بنارها أصحابها ، ومن يركنون إليهم ، ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[1]

وشر أنواع الظلم ظُلم الإنسان نفسه ، ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2]

لقد ظَلم آدم نفسه بأكله من الشجرة التى نهاه الله عنها ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ . فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ، فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[3]

أخرجت الشهوة آدم من جنته ، فاستحق أن يطرد منها وأن يهبط مع الشيطان ليكون له عدوا ، ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ . وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[4]

لقد اختلت صفوف المسلمين فى ميدان هذه الشهوة ، فاختلت صفوفهم فى جميع الميادين فمن عجز عن شهوة البطن كان عن شهوة الفرج أعجز ، فلا غروا إذا تلازمت الشهوتان ، وتعاون

---

(١) سورةةهود : الآية ١١٣ .

(٢) سورة الروم : الآية ٩ .

(٣) سورة البقرة : الآيتان ٣٥ ـ ٣٦ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٣٦ .

العدوان على حرب الانسان ، والشيطان قرير العين جذلان ، يسعر النار ويشعلها ويوقد الشهوة ويوقظها ، والانسان خلق ضعيف لا قبل له باعدائه فى داخل نفسه وفى خارجها . فيصبح للشيطان صاحباً ، فيستحوذ على ضحاياه ويستبد بهم ، لأنهم حزبه وشيعته ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴾[1]

لقد نكسوا على رءوسهم ، بعد أن استولت عليهم الشهوات ، فحبسوا أنفسهم فى أتونها واحرقوا أرواحهم فى سعيرها ، فصاروا كالبهائم ، ﴿ بَل هُم أَضل سَبِيلا ﴾ .

لقد سخروا أرواحهم لعقولهم ، وسخروا عقولهم لأجسامهم ، ثم سخروا أجسامهم لشهواتهم وسخروا شهواتهم لشياطينهم ، وليس بعد ذلك ضلال وخسران : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنِ ٱعْبُدونِى هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاً كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴾[2]

أما المؤمنون حقاً ، فقد سخروا شهواتهم لأجسامهم ، ثم سخروا أجسامهم لعقولهم ، ثم سخروا عقولهم لأرواحهم ، ثم سخروا أرواحهم لعبادة ربهم ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾[3]

إن من ادركته الهزيمة فى نفسه فلن يعرف النصر طريقه إليه

---

(١) سورة المجادلة : الآية ١٩ .
(٢) سورة سورة يس : الآيات ٦٠ ـ ٦٢ .
(٣) سورة الزمر : الآية ٦٦ .

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]

إن أولئك الذين استبعدهم الشيطان لابد أن يستخدمهم فى محاربة خصومه ممن يئس من اغرائهم ، وعجز من افسادهم .

إن أولياء الشياطين أوعية للشر ، ومصدر للعدوان ، فهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ويجهدون أنفسهم فى اختلاس هذه النعم ، ويسعون إلى إثارة الحرب ، لعلهم يشفون ما استقر فى جنوبهم من الغيظ والحنق ، وما ملأ قلوبهم من الغل والحقد ، فيتخذون الاعتداء ذريته لهم ، والبطش وسيلة لأظهار وقسوة عداوتهم ، ولهذا كانت حروبهم التى عرفها التاريخ حروباً عدوانية أما حروب المؤمنين فهى دائماً حروب دفاعية .

لقد سجل الدستور الاسلامى هذه الحقيقة ، فقال تعالى : ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2] وقال : ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ، وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3]

وقال : ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٤ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٠ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٩٤ .
(٤) سورة الأنفال : الآيتان ٦١ ـ ٦٢ .

لقد انطوت قلوب الأعداء على الحرب والاهلاك ، فما هي الا ثائرة تصطنع ، أو حيلة تبتدع ، حتى تعلن الحرب ضروساً شعواء ، فيهب المؤمنون للدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم ، تحف بهم الملائكة وتتنزل عليهم بالنصر.

إن الحروب التي خاضعها الرسول (ﷺ) والمؤمنون ، شاهدة على هذه الحقيقة : هجوم من جانب الكفار ، ودفاع من جانب الرسول (ﷺ) والمؤمنون .

بدأت الدعوة الاسلامية سراً وفى حدود ضيقة : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [1]

شفقة على المؤمنين من أذى المشركين ، صنائع الشياطين فلما شرح الله لها الصدور وأشرقت بنورها القلوب ، أمره الله أن يجهر بدعوته ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [2]

ثم أعطاه الله ضماناً لحمايته ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [3]

فلما اشتد أذى الكفار للمؤمنين أمروا بالهجرة فرارا بدينهم . (وأخيراً لجئوا لتدبير قتل الرسول «ﷺ» عندئذ أطلعه الله على تدبيرهم ، وأمره بالهجرة إلى المدينة بعدما لبث بينهم ثلاثة عشر عاماً ، يتحمل أذاهم ، ويصبر على مكرهم وكيدهم .

---

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

(٢) سورة الحجر : الآيتان ٩٤ ـ ٩٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ، وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ﴾ (١)

بينما كانت قلوب الكفار حاشدة بالحنق والعداوة ، كان الرسول والمؤمنون تمتلىء قلوبهم رحمة واشفاقاً على أهليهم وذوى قرباهم من الكافرين ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٢)

لقد نزلت الآيات تغرى الرسول حيناً ، وتخفف عنه حيناً ، وتعاتبه حيناً آخر ، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (٣)

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (٤)

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥)

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ (٦)

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٣٠ .
(٢) سورة التوبة : الآيتان ١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٧٢ .
(٤) سورة القصص : الآية ٥٦ .
(٥) سورة يوسف : الآية ١٠٣ .
(٦) سورة التوبة : الآية ٨٠ .

﴿ ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾[١]

وكان ﷺ كلما طلب منه أن يدعو عليهم دعا لهم وقال : « **رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون** » .

هذا يوم الفتح الأعظم وجحافل المسلمين تزحف على مكة من كل جانب ، وقريش فى هلع وفزع ، فيقول لهم الرءوف الرحيم ، ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ فيقولون أخ كريم وابن أخ كريم ، فيقول : «اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

وفى وضح هذه الحقائق الناصعة يأبى أعداء الاسلام (وما هم إلاّ أعداء أنفسهم لأنهم زجوا بها فى نية الضلال ، وأوردوها موارد التهلكة والتلف ، وكتبوا لها الخلود فى نار جهنم ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ** ﴾[٢]

يأبى هؤلاء الأعداء الا أن يُسَوِّدُوا صحائفهم بادعائهم أن الاسلام انتشر بالسيف؟ وكيف وقد رأيت أن حروب الاسلام دفاعية لا هجومية وكيف وقد نهى الله عن الاكراه فى الدين ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ** ﴾[٣]

وكيف وقد أُمِرَ المؤمنون أن يبروا من لم يقاتلوهم فى الدين ﴿ **لَّا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾[٤]

(١) سورة الأنعام : الآية ٣٥ .
(٢) سورة النساء : الآية ٥٦ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .
(٤) سورة الممتحنة : الآية ٨ .

وكيف وقد أُمِرَ المسلمون بالتزام العدل مع اعدائهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]

وكيف وقد عاملوا البلاد المفتوحة على هذه القاعدة لهم ما لنا وعليهم ما علينا ولم يستبح أحد من الولاة الاعتداء على الأنفس والأموال وقصة عمرو بن العاص وابن القبطي وحكومة عمر بن الخطاب فيها دليل عملي على مبلغ حرص المسلمين على العدل والمساواة .

وكيف وقد أُحِلَّ لنا أن نتزوج من أهل الكتاب ، وأن نأكل من طعامهم وشرابهم تأكيداً لمعاملتهم على مقتضى العدل والبر ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ، وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[2] .

وكيف وقد عاشت الأقليات مع المسلمين فى أمن وعدل ومساواة برغم ما أصاب المسلمين من أحداث أشعل نارها الغدر والحقد والحسد والعصبية كما حدث فى الأندلس والحروب الصليبية ولم يدفع الانتقام المسلمين إلى أذى الأقليات . لأن الله حرم العصبية على المسلمين وبرأهم من الظلم وبرأهم من الانتقام . ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3]

---

(١) سورة المائدة : الآية ٨ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٥ .
(٣) سورة الأنعام : الآية ١٦٤ .

حقائق النصر

إن النصر هدية ربانية ، وهبة سماوية ، تتنزل به الملائكة على المؤمنين ، وأن لهذا النصر حقائق يُشَدُّ عليها بناؤه وقواعد ترسى بها أوتاره .

[الحقيقة الأولى]

إن النصر من عند الله وليس من عند سواه

لقد كانت غزوة بدر الكبرى معرضاً لهذه الحقيقة ، وتثبيتاً لها لقد جاء النصر ربانياً غامراً ، فلا عَدَدٌ وَلا عُدَدٌ ، إن ملائكة السماء تهبط بالنصر من عند الله ، ليزداد المؤمنون ايماناً وأن معيتهم مع الله تغنى عن كل معية ، ولا يضرهم شىء فى الأرض ولا فى السماء .

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ ، وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ ٱلْمَلَآئِكَةِ مُنزَلِينَ . بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ ٱلْمَلَآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ .

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (١)

كتب الله على نفسه أن ينصر رسله والمؤمنين فى الدنيا والآخرة .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾ (٢)

وأن يكون لهم الغلب على أعدائهم : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٣) .

فالنصر حقيقة واقعة لا تتخلف عن المؤمنين لأنه وعد الله ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (٤) فاذا تخلف المؤمنون عن ايمانهم تخلف النصر عنهم .

ليس النصر من أدوات الحرب ومدمراتها ، فتلك آلات الحرب التى صنعها الله . وأودع كل شىء سرا من أسراره وآية من آياته ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾ (٥) .

إن الله أودع الذرة تلك القوة التى حيرت الألباب ، وأدهشت العقول .

وفى كل شىء له آية «تدل على أنه الواحد» .

وأودع الله النار قوة الاحراق ، وأودع الحديد بأسه الشديد

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٢٣ ـ ١٢٦ .
(٢) سورة غافر : الآية ٥١ .
(٣) سورة المجادلة : الآية ٢١ .
(٤) سورة التوبة : الآية ١١١ .
(٥) سورة المؤمنون : الآية ١٤ .

وإذا شاء أمر النار أن تكون برداً وسلاماً كما أمرها لنجاة إبراهيم .

﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ (١)

أراد الله أن يكون هذا درساً عملياً لمن يتوهمون أن النصر من صنع أيديهم ، وليس من صنع ربهم خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير «فمن ظن أن النصر بيده ، فليصنع له نارا ويثبت من الأرض حديداً » ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ . ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (٢)

إذا كانت مواد الحرب وآلاتها صناعة ربانية فليس لعبد من عباده أن يدعى القدرة عليها ، وينسى سلطان ربه الذى بيده ملكوت كل شيء .

قد يقول قائل : «إن زمن المعجزات قد إنتهى ونحن معه ، ولكن رب المعجزات حى لا يموت ، يجير ولا يجار عليه» .

وعد الله المؤمنين النصر ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ولكن نصر الله لعبده مشروط بنصر العبد لربه ﴿إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٤)

ولا يكون ذلك إلاّ بكمال الطاعة . والاعتراف بالربوبية حتى يكون العبد أهلاً للنصر والا كان الأمر عبثاً والحياة تضييعاً

---

(١) سورة الأنبياء : الآيتان ٦٩ ـ ٧٠ .
(٢) سورة الواقعة : الآيات ٧١ ـ ٧٣ .
(٣) سورة الروم : الآية ٤٧ .
(٤) سورة محمّد : الآية ٧ .

﴿ **إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ** ﴾ (١)

إن هذه الحقيقة تقوم على أمور تستلزمها وتقتضيها ، فما كانت الطاعة إلاّ ربطا على قلوب المؤمنين ، وتطهيراً لأرواحهم ، وتصفية لنفوسهم وسنة العدل أن يغلب القوى الضعيف ، والصالح الطالح ، يشير إلى هذا المعنى قول الحكيم العليم ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ، وَإِن يَكُن مِنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ** ﴾ (٢)

إن المؤمن وقد رباه الله أعلى تربية ، وأدبه فأحسن تأديبه صار أهلاً لهذه القوة السماوية . وإذا أحس العدو القوة فى جانبه مستمدة من الغدر والعدوان ، وظن أن النصر سيتخلف عن المؤمنين ، كانت الآية الكبرى فجاء النصر دافقاً غامراً من السماء تهبط به آلاف مؤلفة .

إن نزول الملائكة بالنصر على هذه الصورة تأكيد لهذه الحقيقة وتبشير للمؤمنين ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ** ﴾ (٣) .

إذ أن ملكاً واحداً بطرف جناحه قادر على تحطيم الأرض بما فيها ومن فيها ، وللملائكة أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ**

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .
(٢) سورة الأنفال : الآية ٦٥ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٢٦ .

ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَآئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

ومن تبشير المؤمنين أيضاً بعث الرعب والفزع فى قلوب الكافرين وفى الحديث « **نصرت بالرعب مسيرة شهر** » .

هذه قصة عبدالمطلب مع إبرهة تجده يقصر سعيه على ما فى مِلْكِهِ وما يقع تحت سلطته ، فيطلب الأبل ، ولو طلب غيرها لكان واهماً ، أيطلب من ابرهة الرجوع عن الكعبة وقد جاء لهدمها وقد أعد عدته ، وجند جنده ، وجيش جيوشه وعبدالمطلب غنى عن السخرية به عندما يطلب العسير أو المستحيل وماذا يصنع وقد أبى عدو المسلمين ذلك عدو الله وعدوه إنها الحكمة البالغة التى نطق بها عبدالمطلب وقد دُهِشَ إبرهة لما توهم من اشتغال عبدالمطلب بالحقير دون العظيم وبالتافه عن الجليل .

لم يستهن كما توهم إبرهة ، ولكنه فوض أمر البيت لصاحبه يدافع عنه ، وهو القوى العزيز ، ويحميه وهو الواحد القهار وإذا بالطير تترجم هذه الحكمة التى نطق بها عبدالمطلب « الأبل لى ، وللبيت رب يحميه » اقرأ معى وصف هذه المعركة السماوية ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة فاطر : الآية ١ .

(٢) سورة الفيل : الآيات ١ ــ ٥ .

[الحقيقة الثانية]

أن الله يعطي نصره من أحب ويحرمه من أبغض

إذا كان النصر هدية ربانية ومنحة سماوية ، فلا بد أن تصادف أهلها وتصيب محلها ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(١) .

إن العبد لايزال يرقى فى عبادة ربه ويسمو فى طاعته حتى يكون ربانياً تتحقق له الولاية من ربه ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ . لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢)

إن أحباب الله لا يعرف الخوف ولا الحزن طريقه إلى قلوبهم إذ الخوف ألم النفس من توقع المكروه والحزن ألم النفس عند وقوع المكروه والمؤمن لا يخشى مكروهاً لأنه فى حياطة ربه وفى ثقة حين يبتليه ليضاعف له الأجر ، ويرزؤه ليكافئه على الصبر ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ ﴾(٣)

ففى الصبر دواء لكل خوف ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٠٥ .

(٢) سورة يونس : الآيات ٦٢ ـ ٦٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٥٥ .

بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَاةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾[1]

ولِمَ يخاف المؤمن ؟ وعلام يحزن ؟ وهو قد باع نفسه وماله لربه أعظم بيع وأربحه ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾**[2]

إن الإنسان فى هذه الدنيا يتجمع عليه حرص على رزقه وعمره ، وأمرهما بيد الله ، قلة وكثرة ، وطولًا وقصراً ، ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**[3]

﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾**[4]

ثم أودعها الله خزائن الغيب ﴿ **وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[5]

إن هذا الرزق الذى تنزل به ملائكة السماء كل ليلة تنادى هذا رزق فلان ، وهذا رزق فلان ، لا يزيد ولا ينقص ، بزيادة السعى ونقصانه ، فكم عاجز مثر ، وحول مكد ، ولو كان الرزق موقوفاً

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .
(٢) سورة التوبة : الآية ١١١ .
(٣) سورة هود : الآية ٦ .
(٤) سورة الأعراف : الآية ٣٤ .
(٥) سورة لقمان : الآية ٣٤ .

على السعي ليتناسب معه كلما زاد سعى المرء زاد كسبه ، وكلما نقص سعيه نقص كسبه ، ولكن واقع الحياة يلقن الناس درساً فى أن السعي شيء والرزق شيء آخر «ولله در الإمام الشافعي حيث يقول» :

ولو كانت الأرزاق تجرى مع الحجا
هلكـن إذن من جهلهـن البهـائم

ولكن السعي مفروض على العباد يحاسبون على التقصير فيه ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ** ﴾[1] فمن سعى وترك أمر رزقه لله فقد توكل على الله والله يحب المتوكلين ، ومن ضيع السعي فقد تواكل ، والسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ﴿ **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** ﴾[2]

إن الله جلت قدرته كشف عن هذا المعنى لعباده ، بالحجة القاطعة والآية الناصعة فى قوله الكريم : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ . إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا**

---

(١) سورة النجم : الآيات ٣٩ ـ ٤١ .
(٢) سورة عبس : الآيات ٢٤ ـ ٣١ .
(٣) سورة الواقعة : الآيات ٦٣ ـ ٧٤ .

لِّلمُقوِينَ . فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1]

وهذه قصة أصحاب الجنة ﴿**إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا يَسْتَثْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ . فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ . أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ**﴾[2]

وهذا قارون آتاه الله من الكنوز ما إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة فلما بطر النعمة ، وكفر بالمنعم عليه ، « **خسف الله به وبداره الأرض** » . ليكون عبرة ومثلاً للآخرين إن الله قادر على أن يرزق خلقه ولو لم يكن لهذا الخلق حول ولا قوة ، كما يرزق الحشرة فى الصخرة الصماء ، وهو قادر على أن يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطاناً ، لا تدخر قوتاً ، ولا تجمع مالا ، وقد أمر ضعاف الدواب مع قلة حاجتها وضعف مئونتها ـ أن تدخر وتجمع كما أوحى إلى النحل ﴿ **أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[3]

إن حياة الانسان تمثل هذه الكائنات ، فمن الناس من يدخر كما يدخر النمل والنحل ومنهم من يعيش كما يعيش الطير ، وهكذا تتراءى لك جميع الصور « **فتبارك الله أحسن الخالقين** » .

---

(١) سورة الواقعة : الآيات ٦٣ ـ ٧٤ .

(٢) سورة القلم : الآيات ١٧ ـ ٢٢ .

(٣) سورة النحل : الآيتان ٦٨ ـ ٦٩ .

إن السعى على الرزق لا يستلزم الخوف ولا الحزن ، لأن السعى وسيلة ليست مضمونة والرزق مضمون على الله ، والله يعطى الدنيا من أحب ومن أبغض ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ (١)

وقد يكون المال والولد للعذاب فى الدنيا والآخرة : ﴿ **وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾ (٢)

إن المؤمن الذى يفقه أمر رزقه وامر عمره وإذا عمق فى نفسه هذا الفقه الناصع المشرق لن يعتوره من أمرهما خوف ولا حزن أبداً ، وإذا طرد الله الخوف والحزن من قلوب عباده غمرتها السعادة ونأت عنها الشقاوة ، وفى ذلك قوتها وسلامتها ، فتفيض على الأجسام قوة وعافية .

لقد كان المؤمنون أقوى الناس قلوباً وأصحهم أجساماً وأطولهم أعمارا ، لأن الايمان دواؤهم ، يعالجون به أجسامهم كما يعالجون أرواحهم ، فلما أشرقت الأرواح بنور الايمان بعث هذا النور فى الأجسام الدفء والقوة . فمن سلم روحه صح جسمه ، ومن صح جسمه صلح عقله ، فان الحياة فى الروح قبل الجسد ، كما أن الوطن فى الدين قبل البلد .

يقول جل شأنه فى تعظيم المال : ﴿ **مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ**

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٨٥ .

قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ (١)

ويقول : ﴿ **وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ** ﴾ (٢)

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَى مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ** ﴾ (٣)

إنَّ الله واهب المال فكيف يقترض من الناس ؟ إن الله جعل المنفقين فى سبيله فى درجة عالية لأنهم يعطون ولا يأخذون ، ولا يعطى الا الموسرون فكأن هذا الأسلوب البارع تعظيماً لشأن اليسار والموسرين ونيلا من شأن العاجزين الخاملين ـ كما عبر عن ذلك قول الرسول الأمين « **اليد العليا خير من اليد السفلى** » وقوله « **على كل مسلم صدقة** » وقوله « **لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه** » ولقد قال لمن أرادا أن يتصدق بكل ماله « **لأن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس** » ولقد قال لعمرو بن العاص وقد رغبه فى احدى الغزوات : « **نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح** » « إن الاسلام يجعل الآخرة غاية المؤمن والسعادة فيها هدفه الأوحد والدنيا طريقه إلى الآخرة « الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر » ويقول « الدنيا سوق قامت ثم انفضت ربح فيها من ربح وخسر فيها من خسر إن السعى للآخرة يضمن سلامة السعى فى الدنيا» ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ**

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤٥ .
(٢) سورة الحديد : الآية ١٨ .
(٣) سورة التوبة : الآية ١١١ .

﴿فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1]

أما الذين يقصرون سعيهم على الدنيا وحدها فالله يدعهم وسعيهم ينالون أو يحرمون ولا نصيب لهم فى الآخرة ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا . كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَـآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَـآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا . ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[2]

وعلى هذا المنهج يتحدد معنى الزهد فى الاسلام ، وقد ضل فيه المسلمون ضلالاً بعيداً إن الزهد زهد الواجدين لا زهد العاجزين ، فمن جمع المال ثم زهد فيه فأنفقه فى سبيل الله ، ولم يسخره لشهواته : فهو الزاهد حقاً ، أما من قصر عن الكسب وهو يدعى الزهد فى الدنيا فهو من المستضعفين الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَآئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُولَـٰٓئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَت مَصِيرًا﴾[3]

لقد عظم الاسلام شأن الانفاق ، ولا انفاق من غير مال ، وما ذاك ألا ليصرف المسلمين إلى الغاية من السعى والمال . إن الغرائز البشرية تميل إلى الانحراف بالمال عن منهج الدين ، فيأخذ فى

---

(١) سورة الشورى : الآية ٢٠ .

(٢) سورة الإسراء : الآيات ١٨ ــ ٢١ .

(٣) سورة النساء : الآية ٩٧ .

الطغيان حيناً ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰٓ . أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (١) .

ويغلب عليها البطر وكفر النعمة حيناً آخر كما فعل قارون حينما قال : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢)

وقد يدفعه إلى الكفر كصاحب الجنة : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا . كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا . وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا . وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا . وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا . قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ (٣)

ومع هذا فيأتي القرآن صريحاً في تفضيل الغني الذي أنفق ماله على الفقير العاجز ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

ليس في الاسلام بلادة ولا كسل . ولا قعود عن الكسب

---

(١) سورة العلق : الآيتان ٦ ـ ٧ .
(٢) سورة القصص : الآية ٧٨ .
(٣) سورة الكهف : الآيات ٣٢ ـ ٣٧ .
(٤) سورة النحل : الآية ٧٥ .

والعمل باسم الدين والدين براء من كل ذلك .

وإذا كان قعود العاجزين والمستضعفين عن الكسب خروجاً على الاسلام ، فأشد منه وأعظم قعود القادرين عن العمل والسعى ، كما شاع ذلك فى أغنياء المسلمين الذين أغرقوا أنفسهم فى الترف والنعيم ، واسْتَبِدَتْ بهم الشهوات ، وسخرتهم المفاسد ، فكانوا حرباً على أنفسهم وعلى أمتهم وعندى أن الفقير المتعطل أهون شراً من الغنى المتكاسل ، لأَنَّ الأول يجعل همه فى التفتيش عن العمل ، وأما الآخر فيجعل همه التفتيش عن المفاسد والشهوات وإذا كان تعطيل الفقير خيانة اجتماعية ، فتعطل الغنى يحمل ثلاثة جنايات : جناية على نفسه وجناية على ماله وجناية على أمته ، إن المستعمرين رسموا لنا أوضاعاً فى الحكم والقانون والاجتماع جرت أغنياءنا إلى التعطل ، ثم نصبوا لهم الشراك ليأكلوا أموالهم أكلاً ويحصدوا أرواحهم حصدا ، وهل بعد ذلك بقاء لأمة أو حياة لمجتمع . إنه التخدير السياسى الذى يمهد للاستيلاء على البلاد سياسياً واقتصادياً ... هذا هو هدف المستعمر ، فاذا تم له ذلك فى تحصين مطامعه لبقاء فريسته تتخبط فى حبائلها وتضطرب فى شباكها وفى نطاق هذا الوعى تستطيع أن تدرك سر تشجيع المستعمرين للملاهى المحرمة ، وحرصهم على إفساد فراغ المثقفين من أبناء الأمة ، وحرصهم كذلك على افساد التعليم فيها منهاجاً ، ونظاماً ليتم لهم افساد الجهاز الحكومى بعامة لتعيش الأمة فى دائرة مفرغة من الفساد الذى يعجزها عن الخلاص منه إذا ما تسنى لها أن تفلت من الحصار السياسى الذى فرضته عليها . إن حياتنا الآن تعبير

عن مدى ما جلب المستعمر فى حياتنا العامة وقد جلا عن بلادنا وتركنا أحرارا فى حياتنا السياسية ، ولكننا عاجزون عن ادراك حريتنا الأصيلة فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية بعدما عبث المستعمر بأوضاعنا ، وجعل هذا العبث جزءاً من اعتقادنا حتى سرنا نؤمن بضرورة بقاء هذه الأوضاع ، وإن تعارضت مع الدين لقد صرنا أقرب إلى الشك فى التعاليم الدينية منا إلى الشك فى تلك الأوضاع .

يظن كثير منهم أن الربا جزء لا يتجزأ من النظام الاقتصادى لقد كان الاسلام والمسلمون فى أوج عظمتهم ولهم اقتصادهم فلم يتكئوا على الربا لأن التعاون الروحى الذى بينهم سما بهم إلى منزلة الإيثار فضمن لهم سعادة روحية وقوة مادية . هذه جريمة الزنا وجريمة السرقة ، قد انصرف المسلمون عن الأخذ بما قرره الاسلام لهما من عقوبة ، حتى انتشرا فى بلادنا انتشارا أزعج حياتنا فامتلأت المستشفيات بضحايا الجريمة الأولى ، وامتلأت السجون بضحايا الجريمة الثانية ، وعقوبة الاسلام كفيلة بحماية الناس من الجريمة وحمايتهم من العقوبة معاً .

وليس هناك تشريع أعدل من تشريع يقى الناس الجرائم أولاً ويقيم العقوبات ثانياً وقد ضربت لك مثلاً رجلين ، وقف أحدهما على مدخل طريق وفرض عقوبة الأعدام لمن يحاول المرور فيه ووقف الثانى على مدخل آخر وجعل عقوبة المرور غرامة مالية ، فماذا يحدث ؟ لا يمر أحد من الطريق الأول فلم يعدم أحد ، وأما الثانى فيسير فيه خلق كثير وتوقع عقوبة الغرامة على عدد كبير .

إن العقوبة شرعت فى الاسلام لمنع الجريمة أولاً ولمنع العقوبة ثانياً .

أما القوانين الوضعية فتشجع الجريمة فتكثر العقوبة . إن نظرة واحدة إلى محاكمنا وسجوننا تكفينا مئونة التدليل ، وتغنينا عن الحجة والبرهان .

[الحقيقة الثالثة]

أن النصر لا يتوقف على قلة أو كثرة

إن النصر وهو هدية الله لأوليائه المؤمنين لا يتوقف على قلة أو كثرة إنما يتوقف على الولاية التى هى من الله حب ورحمة ومن العبد طاعة واخلاص « **يا عَبْدِى أَطِعْنِى تَكُن رَبَّانِيًّا** » .

يقول المولى (جلّ وعلا) فى أثر هذه الولاية وأسبابها : « ما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ ممّا فرضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يسعى بها ولئن سألنى لأعطيته ولئن استجارنى لأجيرنه» الحديث .

فاذا ضمن العبد حب الله له فهو فى حياطته يمنحه القوة إذا شاء ويمنحه الغنى والسلطان « بيده ملكوت كل شىء وهو على كل شىء قدير » فلا يضر العبد ضعفه أو فقره ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[1]

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢١ .

ولهذا يقول الحكيم الحليم ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ** ﴾ (١)

لقد تحقق هذا الوعد الصادق فى غزوة بدر الكبرى وكان عدد الكفار أضعاف عدد المؤمنين ، مع توافر عددهم وعتادهم ولكن الله كتب على نفسه أن ينصر المؤمنين ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٢)

فأنزل إليهم الملائكة تحارب فى صفوفهم ، يراهم الكفار فتمتلىء قلوبهم رعباً وفزعاً ولا يراهم المؤمنون حتى لا يتكلوا أو يتركوا الأخذ بالاسباب المادية ، وقد يجرهم هذا إلى ترك الأخذ بالأسباب الروحية فان فعلوا ذلك خسروا الدنيا والآخرة ، وقد غفل المؤمنون عن الأخذ بالأسباب المادية فى غزوة أحد عندما ترك الرماة أماكنهم فوق الجبل وخالفوا أمر الرسول (ﷺ) عندئذ مكنوا العدو من الفرصة وانزلوا بالمسلمين هزيمة نكراء وقتلوا عدداً كبيراً من كبار الصحابة ومنهم سيد الشهداء حمزة عم النبى (ﷺ) لقد صور القرآن هذه المعركة ، وبين مداها وآثارها ، ووضع أيديهم على الخطة منها ، حتى تكون وجيزة ينتفعون بها فى حروبهم التالية ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَآ أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ**

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤٩ .
(٢) سورة الروم : الآية ٤٧ .

عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ . إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1]

لقد كانت هزيمة تأديبية ، ففيها الصبر العملي على ما يصيب الانسان فلا يقابله بالحزن والأسى وانما يقابله بالصبر والعمل ، ومنها حسن الظن بالله مهما نزل من المصائب لأن الشيطان يتحين هذه الفرصة ليدخل منها إلى القلوب يوسوس بالشرور ويوحي بالغرور **﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾**[2] وما ذاك الا لأن الله جلت حكمته جعل حياتنا الدنيوية مسرحاً للفتنة والابتلاء .

﴿الٓمٓ . أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[3]

ويقول جل شأنه **﴿إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾**[4] ويقول جل شأنه **﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾**[5] وما ضر القلة يوم بدر ولم تغن الكثرة يوم حنين

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان ١٥٢ ـ ١٥٣ .
(٢) سورة الحج : الآية ١١ .
(٣) سورة العنكبوت : الآيات ١ ـ ٣ .
(٤) سورة التغابن : الآية ١٥ .
(٥) سورة الفرقان : الآية ٢٠ .

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ (١)

بدأت غزوة أحد بالنصر فلما جاءت المعصية ذهب النصر وحلت بهم الهزيمة وأما يوم حنين ، فقد بدأت بهزيمة لأن العجب والخيلاء شاعا فى قلوبهم وهما أيضاً من أمراض النفس التى تستلزم التأديب . فلما كانت الهزيمة بدءا كانت المعصية بدءا ، ثم تاب الله على المؤمنين فأكرمهم بالنصر لقد تخلفوا عن الله فتخلف عنهم بنصره حتى يعودوا إلى بهم فيعود إليهم نصره ورحمته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٢)

لقد ظل النصر ظلاً للمسلمين يلازمهم أينما ساروا ، لا يفارقهم أبداً حتى نقضوا عهدهم مع الله ، وفرطوا فى جنب الله ، ونسوا الطاعة ، ووقعوا فى المعاصى بعد ما دانت لهم الدنيا . وغرهم بالله الغرور وتحصنوا بِعَدَدِهِم وَعُدَدِهِم ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون .

لقد طمع فيهم أعداؤهم . واستبدلوا بالخوف منهم الجرأة عليهم ﴿ فَجَاسُواْ خِلَالَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ (٣)

لقد حرص أعداؤهم على الحيلولة بينهم وبين العودة إلى أسباب

---

(١) سورة التوبة : الآيتان ٢٥ ـ ٢٦ .
(٢) سورة الرعد : الآية ١١ .
(٣) سورة الإسراء : الآية ٥ .

قوتهم ، وما لقوتهم سبب ولا لعزتهم نسب الا بالرجوع إلى ربهم . والعمل بدينهم .

لقد رسم العدو الخطة واحكمها ، فكر ثم فكر وقدر . فأقام الحواجز لينال من المسلمين فى بعدهم عن دينهم ومعصيته ربهم أضعاف ما يناله بقوته وعدته فكان له ما أراد . نشر الشهوات ليجذب عبادها مستعيناً بالشيطان ، فهو ظهيره ونصيره فى حرب المسلمين والقضاء على مجدهم وعزتهم ، فتهافت المسلمون على مصارعهم وكتبوا بأيديهم هزيمتهم وحفروا قبورهم بسيوفهم ، وحق فيهم قول الله تعالى : ﴿ **وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِۦ** ﴾ [1]

إنَّ المسلمين وقد ادركتهم الحسرة على ما فرطوا فى جنب الله ، وما ضيعوا من أسباب مجدهم وقوتهم ، وما خانوا من أمانة آبائهم واجدادهم الذين ملكوهم هذا التراث الغالى والتاريخ الحافل بالبطولة والسيادة فى المجال الروحى أولاً وفى المجال المادى ثانياً إنَّ المسلمين عندئذ أخذوا ينفضون عن أنفسهم هذا الغبار المتراكم الذى غطى على أرواحهم وختم على ابصارهم واسماعهم فوجدوا الأعباء الفادحة والعقبات المتراكمة وجدوا الفساد تغلغل فى أحشاء الأمة وامتزج بدمائها ولحومها ، وجدوا مخلفات الأعداء من الرذائل تملأ البر والبحر كيف لا وقد لبث الأعداء بيننا دهوراً ينفثون سمومهم ، وينشرون أدواءهم ، حتى طبعوا الأمة بطابعهم فلما جلوا

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .

عن البلاد بقيت آثارهم متغلغلة فى قلوبنا ودمائنا لقد صنعوا من أبنائنا جيلاً يؤمن بمدينتهم ، ويعيش على عاداتهم واخلاقهم وينهل من كئؤسهم . لا فرق بينهم وبين اعدائهم .

ولأنهم يريدون الاستئثار بما كان يتركه العدو من أموال ومنافع فلا ضير أن يكونوا على قطيعة مع الله متخلفين عن طاعته وعبادته ، ملازمين للرذائل ، أعداءً للفضائل ولا بأس عليهم ، فقد تحرر وطنهم وجلا عنه المستعمر ، وان لم تجل حبائله ومكايده .

الا فلتعلم هذه الأمة ألَّا قوة لها الا بربها ، ولا سلطان لها الا بدينها ولا خير فيها الا بالطاعة والعبادة فان فرطت فى شيء من ذلك ذهبت قوتها ، وفقدت هيبتها وهانت مع نفسها وعلى أعدائها .

أما فى نفسها فقد فشت فيها أدواء الأمم من فساد وفرقة وانقسام أما اعداؤها فقد تربصوا بهم الدوائر يغيرون على بلادهم ، وينقصون أطرافهم ويسلبونهم أمنهم وراحتهم ﴿ **وَأَلَّوِ ٱسْتَقَامُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقًا . لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا . وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا** ﴾ (١)

عقيدة قائمة على التوحيد ، وطاعته قائمة على العبادة فاذا اجتمعت العقيدة الصحيحة والعبادة الخالصة هبط عليهم النصر من السماء ﴿ **إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ (٢)

---

(١) سورة الجن : الآيات ١٦ ـ ١٨ .
(٢) سورة محمّد : الآية ٧ .

[الحقيقة الرابعة]

إن المسافة التى بين المسلمين وبين النصر كالمسافة التى بينهم وبين الإيمان

فان كانوا إلى الايمان أقرب فهم إلى النصر أقرب ، شبرا ومترا وذراعا فذراعا «وعد الله لا يخلف لله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون» لقد أدرك المسلمون الأولون هذه الحقيقة فكانوا على حذر واحتراس ، ولا تعرف المعصية طريقها إليهم ، لا يأمنون مكر الله **﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴾**(١)

وكان (ﷺ) يقول « **إنى أخوفكم من الله** » وكان أبوبكر يقول « لا آمن مكراً لله ولو كانت احدى رجلى فى الجنة » كان الرسول (ﷺ) يربيهم على الحذر ، وينهاهم عن التواكل .

فيقول : « **اعلموا أنَّه لن يُدْخِلَ أَحَدَكم عَمَلُه الجَنَّة** » .

ويقول : « **إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار** » .

ويقول : « **إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها الا قليل فيعمل بعمل أهل النار فيكتب من أهل النار** » .

وكما حذرهم من الغفلة عن الله حذرهم من الرياء فإنه يحيط الأعمال كما تأكل النار الحطب ، ومن أجل ذلك جعل النية أصلاً

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٩٩ .

للعمل يصلح بصلاحها ويفسد بفسادها « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى** » حتى جعل الاسلام الجزاء بمجرد النية «إذا هم العبد بالحسنة ولم يفعلها كتبت له حسنة وان فعلها كتبت له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ولقد جاء القرآن بالتخويف من الرياء فى العبادة ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ** ﴾[1] كما نهاهم عن المن والأذى والرياء فى الصدقة فقال تعالى ﴿ **يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُ رِيَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ** ﴾[2]

يفصل بذلك اعتبار النفاق شرا من الكفر ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾[3]

لما أراد الله أن يطلعنا على أحوال المؤمنين والكافرين والمنافقين وصف كلا من المؤمنين والكافرين بآيات قليلة ، أما المنافقون فقد وصفهم بعدة آيات وضرب لهم الأمثال فقال تعالى : ﴿ **الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُوْلَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ . إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ**

---

(١) سورة الماعون : الآيات ٤ ـ ٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٤٥ .

لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

ثم أخذ يصف المنافقين فقال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ . ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ . مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَاعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَافِرِينَ . يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]

إن سعادة الأمم وصلاحها يقاس بمقدارها فى قلوب أبنائهم من

---

(١) سورة البقرة : الآيات ١ ــ ٢٠ .

إيمان ، وان شقاء أبنائها وفسادهم يقاس بمقدار ما فى نفوسهم من نفاق .

لقد نكب المسلمون آخر الزمان بما ملأ قلوبهم من ألوان النفاق ، حتى لقد فطن أعداؤهم لهذا الداء العياء ، فقرروه فى قلوبهم ، وغذوه بمكرهم وختلهم واظهروا عجزهم عن نقلهم من الايمان إلى الكفر ، فعملوا على نقلهم من الايمان إلى ما هو شر من الكفر وهو النفاق ، فى كل شيء ، فى عقائدهم وعباداتهم ، ومعاملاتهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا . أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا . وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا . فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (١)

هذا لون من النفاق شاع فى البلاد الاسلامية التى استبدلت

---

(١) سورة النساء : الآيات ٦٠ ـ ٦٥ .

بشرع الله قوانين استعاروها من اعدائهم ليقضوا على البقية الباقية من دينهم ، ولينقضوا دعائم مجدهم وعزهم وليتعاونوا مع الشيطان على اختلال أمورهم وفساد اخلاقهم ، كيف توفق بين الايمان بالله وبين الكفر بأحكامه وشرائعه ، كيف توفق بين دعوى الطاعة والعمل بالمعصية ، لقد صار المسلمون يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ﴿ **فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ** ﴾[1]

إن الله حرم الجرائم الخُلُقِيَّة والمادية فلماذا تحلها قوانين المسلمين ؟ وان الله وضع لها زواجير فلماذا أهملها المسلمون ؟ أليست الخمر والزنا والسرقة من الجرائم التى حرمها الله ؟ فلماذا تبيحها قوانين المسلمين ؟ فى بلاد الاسلام ، ولماذا تعمل على ترويجها بمختلف الوسائل والأساليب ؟ وتجعل العاكفين عليها أهل الثراء والغنى لو خلى الله بيننا وبين أعدائنا ليكيدوا لنا ليلا ونهارا ، وليعبثوا فى بلادنا فسادا ما استطاعوا أن ينالوا منا كما نلنا من انفسنا . هذا والله تناقض عجيب ، لا يتجمع ايمان وكفر فى قلب مسلم أبداً وانما يجتمعا فى قلب منافق أثيم ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ .

لقد كان المسلمون وكان الايمان يملأ قلوبهم يقيسون ايمانهم بمقياس الطاعة والعبادة ، وكلما نزلت بهم نازلة أو تنازعوا فى أمور وردوها إلى الله وإلى الرسول ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ**

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨٥ .

تَأْوِيلاً ﴾ [1]

فما بالنا الآن نتخلف عن الطاعة وننصرف عن العبادة ، حتى صارت الكبائر واقترافها مما يعظم شأن المسلم فى أمته ويجلب له الثراء العريض والغنى الوافر وما على الدولة إلاّ أن تحرس ثراءه وتبارك غناه ؟

لقد سُلِّط علينا أعاؤنا يناوشوننا من كل جانب ، يأكلون أموالنا وينهبون خيراتها يمدون خصومنا بالسلاح والعتاد نكاية بنا وكيداً لنا ، ومع ذلك فنحن فى معاهدة دائمة مع الغفلة والمعاصى كأنما سدت مسامعنا وران على قلوبنا ﴿ **فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [2]

لقد أبطأ النصر على المسلمين فى احدى الغزوات ففتشوا فى نفوسهم وقلوبهم قبل أن يفتشوا فى سلاحهم وعقادهم ، وفكروا فى أمرهم قبل أن يفكروا فى أعدائهم ، وتحسسوا مواطن الايمان فانها منازل النصر ـ فان ضيعوا الايمان ضيعوا النصر ، فكروا طويلاً وتدبروا ملياً ، حتى نهض واحد منهم ، فكشف عن السر وادرك الحقيقة وصاح صيحة مدوية ها قد عرفت السبب ؟ قالوا ما هو ؟ فقال لقد نسينا السواك عند الصلاة ، فقاموا جميعاً إلى السواك واستاكوا فهبط عليهم النصر من عند الله والله عزيز حكيم .

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٤٣ .

بربك ماذا نفعل وقد أبطأ النصر عنا دهورا طويلة ألأننا نسينا السواك عند الصلاة؟ أم نسينا الله ونسينا الصلاة ، نزل جبريل على رسولنا الأمين فقال له اقرأ فقال وما أقرأ قال اقرأ ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَاةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾[1]

فقال (ﷺ) أوتضيع أمتى الصلاة يا جبريل قال نعم يؤخرونها عن أوقاتها ولدرهم عندهم أحب إليهم من صلاتهم .

إن النصر لا بد أن يتخلف عن المنافقين تحقيقاً لوعد الله ووعيده ، لأن الله وعد ، المؤمنين النصر وأوعد المنافقين الخزى فى الدنيا وفى الآخرة العذاب الأليم ، ولن يخلف الله وعيده ﴿ **أَم تَقُولُون عَلَى ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ إنَّ التمكين فى الأرض للمؤمنين الصالحين ﴿ **ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ** ﴾[2]

وقد أمرنا الله أن ندعوه ليستجيب لنا ﴿ **ادعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُم** ﴾ ولكن الدعاء فقد خاصيته ، وأصبحنا ندعو فلا يستجاب لنا لأنه دعانا فلم نستجب له ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾[3]

---

(١) سورة مريم : الآية ٥٩ .
(٢) سورة الحج : الآية ٤١ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٦ .

وفى الحديث النبوى : « رُبَّ اشعث اغبر لو أقسم على الله لأبره » فليذكر المسلمون ربهم ودينهم وكتابهم» ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴾ [1]

(١) سورة طـه : الآيات ١٢٤ ـ ١٢٦ .

الإيمـــان

إذا كان النصر هدية الله لعباده المؤمنين كان علينا أن نرسم الطريق إلى الايمان حتى يتهيأ لنا الوصول إلى النصر «ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل»

إن هذا الإيمان يسير فى ثلاث شعب :

شعبـــة العقيـــدة وهى :

إحسان الصلة بين العبد وربه ، فيوجب لله كل كمال وينزهه عن كل نقص ، هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، القديم الذى لا أول له والباقى الذى لا نهاية له ، السميع البصير ، عليم بذات الصدور ، لا تخفى عنه خافية ، وهو على كل شىء قدير.

وشعبـــة العبـــادة :

ومناطها الطاعة ، وغايتها التربية الدينية والرياضية الروحية فاذا كانت العقيدة بعثاً للقوى الروحية فالعبادة انتفاع بهذه القوى ، ولا عبادة بلا عقيدة كما لا عقيدة بلا عبادة ، فالعبادة أثر العقيدة ومظهرها فمن اعتقد فقد عبد ، ومن عبد فقد اعتقد .

إن الناس يعيشون فى ظلال عقائدهم ، فان سلمت العقيدة صحت العبادة ، وان فسدت العقيدة فسدت العبادة .

لقد سجد الجاهليون للشمس والقمر فدعاهم الله أن يسجدوا لخالق الشمس وخالق القمر ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ (١)

لقد عاب الله عليهم أن يحتجوا بمحاكاة آبائهم وأجدادهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢)

وهذه محاورة إبراهيم للكفار بعد أن حطم أصنامهم ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَآ إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ . فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّالِمُونَ . ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ . أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ (٣)

واستمع إلى هذا النداء الحكيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

---

(١) سورة النحل : الآية ١٧ .
(٢) سورة الزخرف : الآية ٢٢ .
(٣) سورة الأنبياء : الآيات ٦٢ ـ ٧٠ .

ٱلثمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [1]

إن القرآن يخاطب العقول بالحجة والبرهان حتى تكون العقائد راسخة مستقرة فالخالق يستحق العبادة من المخلوق ﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعمَلُونَ** ﴾ فلا فكاك للعبد من ربقة العبودية فهو موصول بربه ، مفتقراً إليه بدءاً ، ووجوداً ، وانتهاء ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ** ﴾ [2]

ما أشد افتقارنا إلى ربنا ، ما شاء وما لم يشأ ، كان ولم يكن ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ . ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [3]

إن هذا الخلق آية كبرى كيف ينصرف الانسان عن دلائل حكمتها ، ويغفل عن وضوح حجتها .

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ ٱلْمَلَائكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ** ﴾ [4]

وبهذا الخلق تحدى العلى الكبير المشركين فقال : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ**

---

(١) سورة البقرة : الآيتان ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) سورة فاطر : الآية ١٥ .

(٣) سورة الإنفطار : الآيات ٦ ـ ٨ .

(٤) سورة الحجر : الآيات ٢٨ ـ ٣١ .

ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ . مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1]

فى نطاق هذا السمو الروحى تصفو العقيدة ، وتشرق وتتخلص النفس من ظلمات الجهالة والضلالة ، وترقى فى سلم العزة درجات .

إن الأرواح إذا تخلصت من العقائد الفاسدة ولاذت بالحقائق الباهرة ، بزغت شمس العقل فى سمائها الصافية ، فأضاءت جوانب النفس ، وامحت ظلمات الضلال ﴿ **نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ** ﴾[2]

كم من عقائد فاسدة استبدت باصحابها ، فأوردتهم موارد الهلكة والتلف وألقت بهم فى غيابات الشقاء والهوان .

إن وراء كل عقيدة انماطاً من السلوك ، وألوانا من الاتجاهات . فهذه عقيدة البعث والجزاء ثواباً أو عذاباً ، ذات أثر فعال فى سلوك الناس وأخلاقهم ، انها تدفعهم إلى الاستهانة بالدنيا ، والرغبة فى الآخرة وتصرفهم عن متاع العاجلة إلى لذائذ الباقية ، أنفسهم منهم فى عناء ، والناس بينهم فى راحة ، قد براهم الخوف يرى القداح ، كأن شهيق جهنم وزفيرها فى آذانهم تحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ، وتقول قد خالطوا ولقد خالطهم أمر عظيم فهم فى النهار علماء حلماء أتقياء أبرار ، وفى الليل صافون لأقدامهم يخشعون لربهم فى صلاتهم ، يتلون آيات الله ، فان مرت بهم آية فيها تخويف

---

(١) سورة الحج : الآيتان ٧٣ ــ ٧٤ .
(٢) سورة النور : الآية ٣٥ .

ارتعدت لهولها فرائصهم ، وان مروا بآية فيها تبشير فرحوا بفضل ربهم .

ما جرأ أهل المعاصى على مبارزة ربهم الا لوهن أصاب عقيدتهم وعلة أصيبت بها نفوسهم .

إن أفعال العباد تنبعث من عقائدهم ، كما تنبعث الأشعة من مصدر الضوء تقوى بقوته وتضعف بضعفه إن الكفار ليشهدون على أنفسهم يوم القيامة بأنهم عطلوا قواهم المنبعثة من أرواحهم : ﴿ **وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ** ﴾ (١)

إذا فسدت العقيدة أظلم الروح ، وإذا أظلم الروح انطفأت أشعة العقل ، فلا سمع ولا بصر ﴿ **وَمَن كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ (٢)

وإذا ذهبت أشعة العقل لم تغن عنه مفاتيحه شيئا ، وما مفاتيحه إلاّ الحواس ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَايَرْجِعُونَ** ﴾ (٣) .

﴿ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٤)

أمـا الشعبـة الثـالثـة :

فهى المعاملة ، وقد جعلها الله اعظاما لشأنها ، وتقديراً لآثارها ــ الدين كله « **الدين المعاملة** »

---

(١) سورة الملك : الآية ١٠ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ٧٢ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٨ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٧ .

فاذا كانت العبادة صورة صادقة للعقيدة فالمعاملة أثر للعقيدة أولاً ، وثمرة للعبادة ثانياً .

إن قوة العبادة مستمدة من قوة العقيدة والمعاملة مستمدة منهما معاً ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ . تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾[1]

فالأصل الثابت مثل العقيدة الراسخة ، والفرع السامق مثل العبادة الصحيحة ، والأكل الطيب مثل المعاملة الطيبة .

لو أن انسانا وقف أمام سور شاهق ، ثم اعتقد اعتقادا راسخا بأنه وراء هذا السور ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، لما تردد لحظة فى أن يلقى بنفسه وراءه ليظفر بالنعيم القيم . ولو أنه اعتقد عكس ذلك وظن وراءه الأسود والسباع ـ لولى الأدبار ، ولاذ بالفرار .

إن المعاملة أثر من آثار العبادة أولاً . ومظهر من مظاهر العقيدة ثانياً .

فقوة الساق فى الشجرة دليل على متانة الجذور ، وسلامة الثمار نتيجة للقوة فى السوق والجذور .

إن معاملات الناس كالثمار منها الحلو ومنها المر ومنها الحامض ومنها الحريف ومن الأشجار ما تجرح بشوكها ، ومنها ما يبث الرائحة الطيبة والمنظر الجميل والأشكال البديعة ، والألوان الفاتنة ، ومنها ما لا تحمل شيئاً من ذلك إنما هى أعواد سامقة ينتفع الناس بخشبها

(١) سورة إبراهيم : الآيتان ٢٤ ـ ٢٥ .

ومنها ما تكون للظل ، ومنها ما يكون للزينة فتبارك الله أحسن الخالقين .

لقد حصن الاسلام المعاملة بقواعد راسخة تحميها وتصونها ، ففرض على المسلمين الأخوة « **وكونوا عباد الله اخواناً** » ثم شرع من العبادات ما يربى هذه الأخوة وينميها كالصلاة والزكاة وهما عماد الأخوة وأساسها المتين ، فانهما منهج الحب فى الله ، والحب فى الله أعلى درجات الأخوة وفى الحديث « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف به فى النار** »

ثم فرض التعاون على البر والتقوى ، وهو ثمرة الأخوة الصادقة ، ثم دعا المسلمين إلى الايثار وهو أعلى مراتب الاخاء والتعاون .

إذا احكمت هذه الدعائم ، انتفى عن المسلمين نقائضها . فلا فساد ولا تدابر ولا تقاطع . كما لا ظلم ولا إيذاء ، ولا غش ، ولا خيانة ، ولا سرقة .

لقد جمعت مقتضيات ـ الأخوة ونقائضها فى هذا الحديث « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره لأخيه ما يكره لنفسه** » فاذا ضاعت ثمرة العبادة وذهب أثر العقيدة فلا ايمان ، وإذا فقد الناس إيمانهم انحلت عقائدهم وانهارت عباداتهم ، وفسدت معاملتهم .

من أراد أن يرشد الناس إلى التعامل الصحيح فهذا هو النهج

القويم ومن ظن غير ذلك فقد خدع نفسه ، وجنى على أمته .

ليس التعامل الصالح رهناً بقوانين نستعيدها من الغرب أو الشرق ، وليس التعامل الصالح مستمداً من النظم والمؤسسات التى رسمتها الدول الأجنبية لاصلاح شئونها وتنظيم حياتها فلم تصل الا إلى الشقاء فى دنياها وأخراها وانتشرت المنكرات والموبقات فى حياتها الاجتماعية ، وامتلأت حياة الغرب قلقاً واضطرابا ، وكلما استبد بهم الشقاء فى حياتهم الخاصة والعامة لجأوا إلى ستر ما يعانون من ضيق وضنك إلى الوسائل المادية تطفىء حرارة آلمهم فهم تزرهم الأعناء وبلاء ﴿ **كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ** ﴾ (١)

إن هذه المقدمات التى وضعناها بين يديك تعينك على أن تدرك أسباب تأخر المسلمين فى وقتنا هذا وفساد معاملاتهم . الذى هو أثر لتضييع عباداتهم ، وما تضييع العبادة الا مظهر لتضييع العقيدة لطول ما مر على هذه الأمة من المحق والا حق ، حتى ظن المسلمون بالله الظنون . لقد جرفتهم المادية الغربية فى تيارها تصرفهم عن دينهم . وانستهم تاريخهم ومجدهم . خسروا الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين باعوا الآخرة بالدنيا فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (٢) .

---

(١) سورة النور : الآية ٣٩ .

(٢) انظر الآية رقم ١٥ من سورة البقرة والآية رقم ١١ من سورة الحج .

أركان الإيمـــان

يقوم الايمان على أركان أربعة : هى أساس بنائه ، وأصل بقائه ، ومصدر قوته .

الركن الأول ـ التقـــوى :

إن التقوى أقوى أثراً ، وأعظم شأناً فى بناء الايمان ، ولا تستطيع تصور الايمان مجرداً عن التقوى ، فهى روح الايمان ، ووقاية المؤمن من الانحراف عن دينه والخروج من شريعته ، ووقايته من غضب الله وعذابه بالتزام الطاعة ، والانضواء تحت راية العبودية .

إن التقوى أصل العزة والشجاعة ، فمن خاف الله تطهر من المعاصى ، ومن خاف الله أمن الخوف من غير الله ﴿ **فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى** ﴾

ومن كان هذا شأنه كان أشجع الناس وأعز الناس ، لأنه يقدم على ما أمر الله لا يخشى فى الله لومة لائم ، وهو يرتل قوله الحكيم ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا** ﴾[٢] إنه وثيق الصلة بربه ،

---

(١) سورة التوبة : الآية ٥١ .

يرجو ثوابه ، ويفرح بفضله ورحمته ، سلم قلبه من الخوف وسلم قلبه من الحزن ، فليس لهما مكان يشغلانه ، فهو مشغول بربه عن الناس ، مشغول بآخرته عن دنياه ، مشغول بما يبقى ، وليس مشغولا بما يغني .

إنه فى حيازة ربه ، ولا سلطان عليه . بل له السلطان على كل شيء وكل شيء مسخر له .

إذا كان الناس يتفاوتون فى مستوياتهم المادية فهم فى مستوياتهم الروحية أشد تفاوتاً وانهم ليتفاوتون يوم القيامة بحسب تفاوتهم الروحى فى الدنيا ، ﴿ **فَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ . وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ . أُوْلَـٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ . فِى جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ** ﴾[1]

إن الانسان إذا ارتفع به مستواه الروحى صار ربانيا ، عمر قلبه الايمان ، وأشرقت روحه بنور الله ، وفى الحديث القدسى : « **ما وسعنى أرضى ولا سمائى وإنما وسعنى قلب عبدى المؤمن** » .

إن التقوى زاد المؤمن ، حتى يلقى الله وهو عنه راض .

﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَابِ** ﴾[2]

إن الدين يوجه الغرائز خير وجهة ، فلا يدعها تتخبط فى دياجير الحياة ولا يدع الناس ينفقونها على غير هدى ، حتى تستقيم أمورهم ، وتنتظم حياتهم ــ وما الفساد الا اختلال الغرائز ،

---

(١) سورة الواقعة : الآيات ٨ ــ ١٢ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

فتصرف الخوف إلى ما لا يخاف ، وتصرف الخوف عما يخاف ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [1] ، فمن سلك بغرائزه السلوك الرشيد فقد اهتدى إلى ما يريد ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ [2]

إن جميع الجرائم البشرية لا تخرج عن هذا النطاق النفسي ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [3]

إن التقوى تفتح لصاحبها مغاليق الأمور ، وتضع بين يديه مفاتيح الأرزاق ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [4]

وكيف تضيق بأهل التقوى الموارد والمصادر وهم مكلؤون بالعناية الربانية ملحوظون بالرعاية السماوية .

لن يستطيع الوهن أن يدب إلى قلوبهم ، لأنها قلوب ربانية ليس لشيطان سلطان عليها ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [5] لقد صارت قلوبهم أوعيته للحق ، والحق لا يزهق

---

(١) سورة الشمس : الآيتان ٩ ــ ١٠ .
(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .
(٣) سورة النازعات : الآيات ٣٧ ــ ٤١ .
(٤) سورة الطلاق : الآيتان ٢ ــ ٣ .
(٥) سورة الحجر : الآية ٤٢ .

أبداً ومحلاً للنور الالهى فلا يطفأ أبداً . وان الرزق بيد الله جل وعلا ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (١)

وكيف لا يرزق الله أولياءه ولا ينعم على أحبابه ، وقد باعوا أنفسهم لله ، يعطيهم ويشترى منهم ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (٢) فالفضل منه وإليه ، إِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ وهو على كل شيء قدير ان الناس فيما يصالحون من شئونهم الدنيا يتهافتون على ربط أنفسهم بالعظماء من الناس ، كالملوك والحكام ، والأغنياء ، ليستفيدوا من عظمتهم ، ولينعموا بالقرب منهم وقد تكون عظمتهم وهمية أو عظمة جوفاء ، أو عظمة كاذبة ، ومع ذلك فهم يحرصون على مخالطتهم وينشطون فى طاعتهم ولا يقصرون فى خدمتهم ولا يجدون الضعف والارهاق ، أو قد يناهم الظلم والبطش ، ومع ذلك فهم مؤمنون بأن الخير ما جرت به أيديهم ، وأن الحق والهدى ما نطقت به أفواهم ، ولا يحرص الناس فى الدنيا على شيء حرصهم على ابتغاء الحياة والسلطان من العظماء ذوى الجاه والسلطان ولكنهم مع ذلك يتنكبون طريق العظمة الصحيحة ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣)

انها الحيوانية أو البهيمية تلصق صاحبها بالرغام ، فيهبط مستواه الروحى حتى يكون كالحيوان الأعجم ﴿ إِنْ هم إِلَّا كَالأَنعَام بَل هُم

---

(١) سورة هود : الآية ٦ .
(٢) سورة التوبة : الآية ١١١ .
(٣) سورة الملك : الآية ٢٢ .

أضل سبيلاً ﴾

ومن عجائب الانسان أنه قادر على التشبه بالحيوان ، أو الشيطان ، أو الملائكة فان لبى دواعى الغريزة الأرضية وانصرف عما سواها . فهو الحيوان الأعجم ، وان خالط ذلك ظُلم أو فساد فهو الشيطان المارد ، وان عزف عن الشهوات الأرضية وصعد فى سلم حياته الروحية ، فهام بالفضائل ، وصد عن الرذائل فهو الملك الطاهر .

إذا كانت التقوى فرجاً من الضيق ، وسعة فى الرزق ، فانها مفتاح العلم ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ فمصدر العلم بيد الله جل وعلا ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ انه العليم الحكيم ﴿ **عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم** ﴾ واذا أحب الله عبده آتاه العلم والحكمة ﴿ **يُؤْتِى الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾ [1]

إن الصفاء الروحى وقد تربى على التقوى يشع النور فى سماء العقل ، والعقل وعاء العلم والانبياء أصغى الناس عقلاً ، وأقواهم روحاً ، وأصدقهم نظراً وأسلمهم حكما على الأشياء ، وهل العلم غير ذلك ؟ ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾ [2]

لقد جعل الله التقوى ميزان الحياة ، فاذا أمر بالتعاون جعله

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٣ .

معصوماً بالتقوى فيقول ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[1] فهو تعاون نافع خير لا تشوبه شائبة من ظُلم أو فساد.

وإذا أمر بالصدق جعل مدخل الأمر به التقوى فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[2]

وإذا أمر بالصلح بين المتخاصمين أردف الأمر بالتقوى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[3].

وإذا أمر الحاكم بالعدل اتبعه بالتقوى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[4]

وإذا نهى عن مفاسد الأخلاق من سوء الظن والتجسس والغيبة أردف ذلك بالتقوى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[5]

وإذا حذرنا الله من فتنة المال والولد أكد التحذير بالأمر بالتقوى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ. فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[6]

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢.
(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩.
(٣) سورة الحجرات : الآية ١٠.
(٤) سورة المائدة : الآية ٨.
(٥) سورة الحجرات : الآية ١٢.
(٦) سورة التغابن : الآيتان ١٥ ـ ١٦.

إن من ضيع هذه الدعامة دعامة التقوى لم يستطع أن يبنى شيئاً من قواعد الايمان ، وإذا فقد الايمان دعامته الأولى وقاعدته الكبرى ، ما كان من الايمان فى شيء يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم . وإذا أظلم هذا الجانب من القلب اضطربت الحياة ، واصيبت بالعمى والضلال : ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ** ﴾[1] .

الركن الثانى ـ الطاعة :

﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[2] الطاعة ترجمان الايمان ، فلا طاعة بغير ايمان ، ولا ايمان بغير طاعة ، وما شرعت العبادة الا للتدريب على فضيلة الطاعة .

إن الطاعة فى الاسلام مبصرة مشرقة ، لا يشوبها عمى ولا ابهام ، ولا يخالطها اقرار أو اكراه وهى لله أولاً ، ولرسوله ثانياً ، ولأولى الأمر ثالثاً ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ** ﴾[3] إذ الرسول مبلغ عن ربه ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[4]

كما أن الرسول معصوم فيما يبلغ ، تجب طاعته على كل حال

---

(١) سورة الحج : الآية ٤٦ .
(٢) سورة النساء : الآية ٥٩ .
(٣) سورة النساء : الآية ٨٠ .
(٤) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

﴿ **وَمَآ ءَاتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟** ﴾[1]

قوله الصدق والحق ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾[2] فلم يأت الرسول بشيء من أمر الدين الا عن وحى يوحى ، وقد اشتمل هذا الوحى على كتاب الله أولاً وسنة نبيه ثانياً ، وكلاهما من عند الله .

أما طاعة ولى الأمر فهى مستمدة من طاعة الله وطاعة الرسول . لأنه لا يصدر إلاّ عن كتاب الله وسنة نبيه ، فكأن طاعته طاعة لله ولرسوله لأنها داخلة فيما جاء عن الله وعن الرسول ويوضح ذلك قول الرسول (ﷺ) : « **لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق** » وقوله « **السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** » .

ومن جهة أخرى فلا يلى أمر المؤمنين إلا وال مؤمن ﴿**وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾[3] فلا ولاية لغير المؤمن على المؤمنين « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

وقد أكدت الآية هذا المعنى بالخطاب فى قوله : « منكم » أى من المؤمنين والمؤمن فى نفسه يلتزم العمل بأوامر الله . واجتناب نواهيه ، وقد أشار إلى هذا المعنى الخليفة الأول « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » ثم رسم لهم دستوراً عملياً لعلاقته بهم ، وعلاقتهم به إذ يقول : « إن أحسنت

---

(١) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٢) سورة النجم : الآيتان ٣ ـ ٤ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٤١ .

فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى » .

وعمر رض الله عنه يقول : « فإن رأيتم فىّ اعوجاجًا فقومونى » فيقول له أحد رعيته : « والله يا عمر لو وجدنا فيك اعوجاجًا لقومناه بحد سيوفنا » فيقول عمر : « الحمد لله الذى جعل فى الأمة من يقوم عمر بحد سيفه » قال له ذات يوم رجل من المسلمين : « اتق الله يا عمر » فيلتفت إليه آخر ويقول له : « أتقول ذالك لأمير المؤمنين : « فيصرخ فيه عمر ويقول : دعه يقولها ، فلا خير فيكم إن لم تقولوها ، ولا خير فينا إن لم نقبلها منكم » لأن هذه هى القيادة الرشيدة التى تربى الأمة على الشجاعة ولا تخشى فى الحق لومة لائم » .

لقد ادعى الغربيون أن الحرية والشجاعة الأدبية من صنع الثورة الفرنسية ، فأين حريتهم وشجاعتهم من هذا الهدى القويم ؟

إن هذه الشجاعة لازمت المسلمين فى عصور قوتهم وعزتهم ولم تتخلف عنهم الا فى عهود من تخلوا عن ربهم ، وفرطوا فى دينهم ، ولهم فى هذا الباب العجب العجاب مما حفلت به كتب الأدب والتاريخ لا يرهبهم طغيان الحاكم وجبروته إذ أن الرسول الأمين يقول إن أفضل الشهداء رجل دخل على امام جائر فأمره ونهاه ، فقتله فدخل الجنة . هذا حطيط الزيات يدخل على الحجاج فيسأله الحجاج عن رأيه فيه ، فيقول له حطيط : شر خلق الله فى أرضه فيقول وما رأيك فى أمير المؤمنين ؟ فيقول هو شر منك لأنه ولاك علينا» فيأمر الحجاج بطرحه على الأرض وأن يغطى جسمه بالبوص ثم يربط البوص بالحبال ، ثم ينزع كل واحدة فتخرج بالقطعة من

اللحم ، ومازالوا يفعلون به كذلك حتى فارق الحياة ، ثم يأمر الحجاج بطرحه فى السوق حتى يراه الناس فتمتلىء قلوبهم هلعاً وجزعاً ، فيستمر الأمر فى اذلال المسلمين واستعبادهم .

إنَّ الاستشهاد فى سبيل الله من آثار الطاعة ، وبهذا كانت هذه الفضيلة مدرسة الفدائية الرشيدة ، فدائية فى الحق وللحق ، وليست فى الباطل وللباطل .

إنَّ المسلمين لم يعرفوا الطريق إلى الطاعة العمياء أبداً لأن الرسول لم يدع الا على بصيرة ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى** ﴾[1] وإذا كانت الطاعة عمياء جاء العمل أعمى ، وجاءت القلوب فى عمى وفى ضلال .

وكما طهر الاسلام المسلمين من الطاعة العمياء طهرهم من الطاعة البـاطلة وهى التى تتعارض مع ما جاء به الدين ، ومثل هذا النوع يفسد النفوس ، ويطارد الفضائل ، ويحمى الرذائل وعندئذ تفقد القوانين سلطانها ، ويتلقى الشعب على يديها دروس النفاق ، والمكر والعبث وليس بعد ذلك شر وفساد .

بهذا تدرك مبلغ الشطط الذى تقع فيه تلك الحكومات التى تلزم الشعب بقوانين تتعارض مع مقدساتهم الدينية ، فهم يحاولون التخلص منها ، والهرب من طاعتها وتنفيذها .

اللهم لا طاعة إلَّا لك ، ولا طاعة إلَّا لرسولك ، ولا طاعة لأحد من خلقك ، إذا شط عن طاعتك ، وتجاوز دينك ،

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

وتحاكم إلى الطاغوت ﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[1] .

اللهم اننا جنود دينك ، وحماة كتابك وسنة رسولك ، اللهم قونا بالحق ، وهيئنا لنصرته ، ووفقنا لطاعتك ، وجنبنا معصيتك ، فبئس الخلف من الطاعة المعصية ، ومن الهداية الضلالة ، ولا تجعلنا من المنافقين الذين يعرضون عن دينك ، ويصدون عن سبيلك إنك نعم الولى ونعم النصير.

الركن الثالث ـ الصبر :

إذا كانت التقوى سياج الايمان ، وكانت الطاعة تلبية لدواعيه . فان الصبر احتمال لما يعترض سبيل الطائعين : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[2]

إذا كانت التقوى تقتضى الطاعة ، فان الطاعة تستلزم الصبر ، فان التكاليف الشرعية محوطة بالمشاق ، مقرونة بالمتاعب ، وإن الحياة الأرضية قائمة على المغالبة ، دافعة على التنازع : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]

---

(١) سورة النساء : الآيتان ٦٠ ـ ٦١ .
(٢) سورة الشورى : الآية ٤٣ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

إن هذا التنازع ملموس فى حياتنا المادية : ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِى كَبَدٍ**﴾[1] كما ان التنازع يستلزم العمل ، والعمل تعترضه المشاق والمتاعب مادية كانت أو روحية ، وفى ذلك ألم النفس ، والنفس تنفر مما يثقل عليها ولو كان فيه خيرها ونفعها ، والشيطان من ورائها يحرضها على تجنب المشاق ، ويأخذ بيدها إلى اللذات والمتعة فتنسى مصيرها ، وتعرض عن غاياتها . وهنا تظهر الحاجة إلى الصبر عما يحب المرء ، وعلى ما يكره ، فان أحب ما يضره أو ما ينفعه ، فذلك هو الهوى «**حفَّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات**» ومجال الصبر هنا رحب فسيح ، متعدد الجوانب فان الشهوات لقاح الشيطان ، وبذور المعاصى ، إن نفقها الانسان بلا وعى ولا تدبر ، وان أحسن سياستها وقيادتها كانت خيراً هداه الله إليه ، وان نفرت وجمحت ، أو استبدت بصاحبها ، أهلكته وأردته.إن أكثر الجرائم تنضوى تحت هذا الجانب ولا وقاية فيها الا بالصبر فى مجالها ، وتحمل المشاق فى ميدانها ﴿ **إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ**﴾[2]

إن الغرائز لتتراكض فى مجال الشهوات ، ولا بد من كبح جماحها ، والوقوف فى طريقها فمن استطاع ذلك فهو من الصابرين ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ**﴾[3]

---

(١) سورة البلد : الآية ٤ .
(٢) سورة يوسف : الآية ٥٣ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٥٣ .

إن هذه المعية قوة القوى ، وضمان النصر والغلب ، فمن غفل عنها ، أو تناساها تقاذفته أمواج الحياة ، وغالته غوائلها .

أما الجانب الآخر من المشاق التى تعترض حياتنا فهو جانب المكاره ، وما أكثرها فى هذه الدنيا ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ** ﴾[٢]

هذه هى طبيعة الوجود الأرضى القائم على المنازعة والمغالبة من جانب الانسان فهو ينازع فى الأرض يشقها ويحرثها ثم يزرعها ليستخرج كنوزها ، وينتفع بخيراتها ، فان صبر على متاعبها ، وتحمل مشاقها ، فتحت له كنوزها ، وأمدته بقوتها وسلطانها والا أدركه العجز والضعف فتنحدر إليه الآلام النفسية لوقوعه فى هذه الهوة السحيقة ، وهنا يجد من مشاق الآلام أضعاف ما يجد من متاعب الصبر ومشاقه .

إن من طبيعة المنازعة والمغالبة ، أن ينفق المرء القليل لينال الكثير ، فان انفق أكثر مما ينال كان ذلك خسرانا تنفر منه النفوس ، لأن ذلك طريق الهلاك والدمار وان نال أضعاف ما أنفق كان ذلك بيعاً رابحاً ﴿ **فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِ** ﴾[٢]

إن الصبر ضمان البيع النافع ، والربح المحقق .

وبهذا كان الصبر ركناً من أركان الايمان ، ومدخلاً من مداخله ان الصبر هو عنصر المقاومة فى المجال العملى ، كما ان التقوى مصدر

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٥ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١١ .

القوة ، والطاعة هى الصلاحية للانتفاع بهذه القوة ، ومثل ذلك السيارة تخزن القوة الكهربية فى محركها ، كما تخزن النفس التقوى فى داخلها ، وتحتفظ بسلامة أجهزتها ، واستعدادها لتلقى هذه القوى . كما تستعد النفس لتلبية دواعى التقوى لسلامة حواسها الداخلية والخارجية ، فاذا اندفعت السيارة بقوة محركها ، وسلامة أجهزتها ، كان لا بد من وقاية تحتمل بها منازعة الطريق ومقاومته فلا بد من سلامة الاطار وسلامة الهيكل ، رفعاً للاحتكاك الأرضى والصراع الهوائى . وكذلك النفس إذا اندفعت للعمل مزودة بالتقوى والطاعة ـ لزمت لها قوة الاحتمال لما يعترضها ـ دفعاً للصراع الداخلى الذى ينبعث من الغرائز الثائرة ، والميول المتأججة ، ودفعاً للصراع الخارجى الذى يعترض طريق العمل من غرائز الآخرين وميولهم ، وهو المعبر عنه بشياطين الانس والجن .

حـــرب الشهـــوات

لعل من أهم أغراض الصبر مغالبة الشهوات ، وتوجيهها الوجهة الصالحة ، وحبس الضار منها حتى يتقى الناس شرها ، ويسلموا من آثارها .

لقد شرعت القوانين لِتنظِّم طريق الشهوات ، وتكبح جماحها إذا هاجت وثارت ، ووضعت العقوبات زواجر وصوارف ، فان رجحت كفة الشهوة على كفة العقوبة تهافت الناس عليها لأنهم فى مجالها يربحون ، وان وجدوا العقوبة أنكى وأخزى ، انصرف الناس عن الشهوة لأنها خسران مبين .

لقد جاءت الأديان تنظم الشهوات خير تنظيم ، وتتيح للناس الفرص السعيدة للانتفاع بشهواتهم فى عاجلهم وآجلهم .

لقد شاء الله أن يكرم بنى آدم فأعطاهم من الشهوات ، ما لم يعط غيرهم ، فلأرواحهم شهوات ، ولعقولهم شهوات ، ولأجسامهم شهوات ، ولكن الناس يظنون أن المادة نطاق الشهوة فيتكالبون عليها . ويتزاحمون فى ميدانها . ولم يعرف التاريخ عصراً عبدت فيه الشهوات كما عبدت فى عصرنا هذا ، حيث العلم المادى فى أوج قوته ، وعظيم سلطانه فهو يمد الناس فى كل يوم بجديد

يقوى سلطان الشهوة ، ويفرض سلطانها وجبروتها .

ولكن سوء استعمالها ، والانحراف بها عن جارتها يفسدها ، ويذهب بمتعتها ، ويصبح غصصا يتجرعها عبيها الأذلاء ، وأسراها الأخساء ، فهم فى شقاء دائم ، وعذاب أليم من حيث لا يشعرون .

هل رأيت إلى السكارى عبيد الرجس كيف يشقون بخمورهم ، ويشقى الناس بفسادهم كما شقواهم بأنفسهم ، فيدورون فى حلقة مفرغة من الآلام والمآسى ، هل رأيت إلى ذلك الشقى الذى طلب إليه أن يختار : إمَّا الخمر وإمَّا الزنا . وإمَّا القتل فلما اختار الخمر لأنه توهم أنها أخف الثلاثة ضرراً ـ زنا ، وقتل ؟

وإليك شهوة النساء التى زينت للناس ، كيف حمتها الشرائع السماوية ، وهيأت للناس المتعة الصحيحة والانتفاع الكامل ، جعلت لها حدوداً مرسومة ، ومعالم واضحة فشجعت الرجل على أن يكون له زوج تختص به ويختص بها ، فلا تضره ، ولا يضرها . فى رباط روحى يفيض عليهما بالمتعة واللذة ، ثم يكون من وراء ذلك ثمر روحى ومادى ممثلاً فى البنين والذرية هل يفضل الزنا عن الزواج فى هذه الحالة إنه سم هذه الشهوة وعدوها اللدود ، إنه يفسدها ويعكس آثارها إنه يقطع الروابط الروحية فى المجتمع ، ويضع مكانها الخسة ، واللؤم ، والدناءة ، ويزرع فى قلوب الناس الكراهية ، والعداوة ، والبغضاء ، ويفقدهم الطمأنينة على أعراضهم وشرفهم فيسودهم القلق ، وسوء الظن وهل بعد ذلك شقاء !

هذه هى الآثار الروحية ، أما الآثار المادية ، فما أكثرها وأقبحها ، هذه الأمراض الخبيثة التى تطاردهم ، وهذه الأموال التى تغلت من أيديهم وعندئذ يهبط الضعف عليهم ، والضعف مركز الشقاء ومحور البلاء فلا نسل ولا ذرية ، ولو فعلت البهائم فعلهم لشقى الناس بحياتهم أيما شقاء .

لقد ظَلم الانسان البهيمة فنسب الشهوة إليها ، إن شهوة البهائم ملك للإنسان تسخر لنفسه وخيره ، فما اشتهت البهيمة الا لتلد ، فان وصلت إلى غايتها ، وأدركت مآربها فلا شهوة ، ولا ميل إلى الشهوة ، وان ذكر الحيوان ليعلم ذلك منها ، وأنها مستعدة للدفاع عن رسالتها حتى الموت ، فلا يحاول هذا الأمر ، وما شاء منها أن يحاول فالويل كل الويل .

إنَّ تنظيم الشهوة فى الحيوان وكل إلى غرائزه ، وتنظيم الشهوة فى الانسان ترك إلى عقله ومن وراء عقله دينه ، ومن ورائها المجتمع وقوانينه وحكامه ، وقد تصنفت هذه المواقع وتدل هذه الحصون ، فتقع تلك الجريمة ، تحمل خسة البشر ، ودناءتهم وتعلق جهله وطيشه .

إن من وراء ذلك بلاء طويلا ، وشقاء مستمراً .

هل رأيت الحيوان يشكو الأمراض التناسلية كما يشكوها الانسان ؟ هل رأيت الحكومات جازعة لما أدرك الحيوان من هذه الأمراض فأنشأت المستشفيات لعلاج الذكور والاناث كما تفعل للآدميين ، حتى عجزت آخر الأمر واستسلمت للادواء تنخر فى عظامها ، وتهد كيانهم هل من عودة إلى الدين نسترشد برشده ،

ونهتدى بهديه ، ونسير على نهجه ؟ هل نبنى الركن الثالث من أركان الايمان وهو الصبر ، على ما نحب ، والصبر على ما نكره ؟

إن فعلنا ذلك أوشك بناء الايمان أن يتم ، وأن يعلو شاهقاً يريح النفوس . ويسعد القلوب ويشرح الصدور ، ويضفى على حياة الناس سعادة ضلوا طريقها لأنهم التمسوها من غير أبوابها فلم يجدوها فناداهم الشقاء من بعيد ومن قريب ، فهم فى تياره غارقون ، وفى عمايتهم يتخبطون وعن يقينهم غافلون .

الركن الرابع ـ العـــدل :

العدل ميزان الايمان ، ومقياس وجوده وقوته ، ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ . أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ . وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ (١)

إن العدل ضابط الأعمال ، يحفظها من الانحراف ، ويحميها من الضلال ، وهو حياة الفرد ، وسلامة المجتمع ، وصلاح الحكم .

عـــدالــة الفـــرد :

وقد سماها القرآن استقامة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢)

وسماها الصراط المستقيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ

---

(١) سورة الرحمن : الآيات ٧ ـ ٩ .
(٢) سورة الأحقاف : الآية ١٣ .

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1]

إن العدل أساس مملكة الفرد ، حتى لا تطغى الشهوة على العقل ، ولا يتمرد العقل على خدمة الروح ، فالروح سيد والعقل خادم ، والعقل سيد والشهوة خادم فمن جعل شهوته فى خدمة عقله ، وعقله فى خدمة روحه ، وروحه فى عبادة ربه فهو المستقيم حقاً ، والسعيد صدقاً ، ومن جعل روحه فى خدمة عقله ، وعقله فى خدمة جسمه ، وجسمه فى خدمة شهوته فهو الشقى حقاً ، الملعون فى دنياه ، المعذب فى اخراه هل رأيت إلى الضالين ، كيف تفرق بهم السبل فاختلت موازينهم ، وعميت بصائرهم ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]

حاشا لله أن يظلم عباده وقد خلقهم لعبادته ، وهيأهم لطاعته ، ولكن الانسان لربه لكفور يكفر بنعمة ، ويجروء على مولاه : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فأساء حمل الأمانة ، وضيع الرسالة : ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[3] وكفره عائد عليه ، وشره راجع إليه : ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[4]

إن الله تعالت حكمته ، لا تنفعه طاعة من اطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .
(٢) سورة التوبة : الآية ٧٠ .
(٣) سورة عبس : الآية ١٧ .
(٤) سورة الزمر : الآية ٧ .

لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (١)

إلى أولئك الذين يظلمون أنفسهم بتعطيل مداركهم ، وصرف حواسهم عن النظر الصحيح فى ملكوت السموات والأرض أسوق إليهم حكم العليم الحكيم على سلوكهم ، وسوء مآلهم : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ ﴾ (٢)

وإليهم أسوق التوجيه السماوى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا . وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا . كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ (٣)

وإليهم أسوق الادب الربانى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٤) .

وإليهم أسوق وصف الله لعباده الذين أحكم العدل نفوسهم ، وأصلح أحوالهم ، فاستقامت أمورهم : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلَامًا .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٢٩ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .
(٣) سورة الإسراء : الآيات ٦ ـ ٣٨ .
(٤) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا . وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا . وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا . وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا . وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا . أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا . خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[1] .

بمثل هذا تستقيم أمور الفرد فى عقله وفى خلقه ، وفى عمله ، وما الفرد إلاّ لبنة فى بناء المجتمع فان صلح الفرد صلح المجتمع ، ويفسد المجتمع لفساد أفراده .

عـــدالـة المجتمـــع :

لقد جاء الاسلام بأسمى المبادىء التى يقوم عليها مجتمع سليم

(١) سورة الفرقان : الآيات ٦٣ ـ ٧٧ .

ورسم الخطوط لبناء حياة اجتماعية صالحة ، مجتمع يقوم على البر والتقوى ، ويسعد بالحب والاخاء وبهذا تتحقق العدالة الاجتماعية ، التي لم تظفر بها أمة الا في ظلال الإسلام ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[1]

لقد شرع الله من العبادات ما يكفل وحدة المجتمع ، وصيانة تلك الوحدة ، ففي الصلاة ربط للقلوب ، وتطهير للنفوس ، وفي الزكاة تأليف بين الأرواح ، وترميم للعلاقات وفي الحج تقريب وتوجيه ، وسعي بين يدي الله في توبة نصوح ، ورجوع إلى الله يستمد منه المسلمون العون ويطمعون في المغفرة والمثوبة .

لقد أجهد الكتاب في الغرب والشرق أنفسهم في التفتيش عن العدالة الاجتماعية ، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، بل ملكهم الغرور فزعموا أنهم أتوا بما لم تستطعه الأوائل ، وظنوا الاشتراكية صراطهم المستقيم ، وما دروا أن في الاسلام نظما تزري بنظمهم ، ومبادىء لا تصل إليها أوضاعهم ، إنها معجزات ذلك الدين القيم لو فكروا فيها لأخذت بأيديهم إلى الايمان واليقين وأنى لهم ذلك وهم بمدينتهم مفتونون ، وبماديتهم مخدوعون ، وكيف يصلون . وكيف يهتدون ؟

إن مبادىء الغرب والشرق تدور في فلك المادة بعيدة عن السمو الروحي ، أما المبادىء الاسلامية فأساسها الفضائل ، وغاياتها الأخلاق .

---

(١) سورة الفتح : الآية ٢٨ .

إن المجتمع الاسلامى عفيف ، حصيف ، لا يعرف المنكر طريقه إليه ، ولا الفساد سبيله إلى أهله .

إن مباهاة الغرب بنظمه لم تكن الا يوم تخلف المسلمون عن نظمهم ، فأزرت الأوضاع الغربية بأوضاع المسلمين ، ولكنها تتلاشى إذا قورنت بمبادىء الاسلام ونظمه التى جهلها المسلمون قبل أن يجهلها الغربيون .

إن الحاجز الذى بين الغرب ومدنية الاسلام هو قيام مدنيتهم على المادة ، وبعدها عن الحياة الروحية ، ولو أنها كانت مدنية روحية لدخل الغربيون فى دين الله أفواجا .

إن نظام التعاون نظام اسلامى أصيل قام على دعائم روحية راسخة ، فمصدره الحب والاخاء وغايته الاثبار والوفاء ، والتعاون المادى مظهر لهذا التعاون الروحى ، أما التعاون الغربى ، فالمادة لحياته ومبدأه ، ولا يعرفون غاية أسمى من غايتهم ، ولا هداية أصلح من هدايتهم . وحسبك أن تعلم أن الربا طابع تعاونهم ، وقد تطهر التعاون الاسلامى من أرجاسه ، ونأى عن أوزاره ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ، وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** ﴾[1]

وكيف يلوث المسلمون تعاونهم الروحى بجراثيم الربا الفتاكة التى تسلم أصحابها إلى الجنون والاختلال العصبى ﴿ **ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ**

---

(١) سورة البقرة : الآيتان ٢٧٨ ــ ٢٧٩ .

ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ، وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ، فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى ٱللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَاتِ ، وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[1] .

ليتهم وقفوا عندما ابتلاهم الله بدائهم ولكنهم ادعوا أن مصدر تأخر المسلمين هو تخلفهم عن نظام تعاونهم ، صدقوا فيما يتهمون المسلمين فان المسلمين تخلفوا عن نظمهم وتخلفوا عن نظم الاسلام فى وقت واحد ومثلهم فى ذلك مثل من كان له فضل ماء بالطريق ، وأبى أن يعطيك الماء بثمن لأنه يكره أن يبيع الماء ، ويأبى أن يعطيك بغير ثمن لأنه يدخره لنفسه ، فان أعطاك الماء بثمن كان كالغربى الذى يتعامل بالربا ، ينفعك ويستغل حاجتك لأن قانون المادة يلزمه هذا الفعل ، ولو كان اسلامياً لأعطاك المال حبا فى الاحسان ، ورغبة فى الايثار لأن قانون الروح يقتضى هذا الفعل ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

إن الرجل الذى أعطاك الماء بهذه الدراهم المعدودة ، خرج من المعركة لا له ولا عليه والذى لم يعطك الماء بثمن أو بغير ثمن خرج من المعركة بعد أن زودك بحظ وافر من العداوة والبغضاء ما يمتلىء

---

(١) سورة البقرة : الآيتان ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٢) سورة الحشر : الآية ٩ .

بها قلبك ، وتتمنى على الله أن يلجئه إليك ، ليعلم أثر الحاجة فى نفس المحتاج وهو مثل المسلم الذى ضيع مبادئه وفرط فى دينه ، وعاش هزيلا بلا جسم ولا روح . أما الذى أعطاك الماء مؤثراً على نفسه ، فقد استعبدك بشربة ماء ، لأنك لا تقيس هذه الشربة بقيمتها المادية ، وإنما تقيسها بآثارها الروحية والقلبية .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبدالانسان احسان

لا تعجب إذا وجدت التعاون الغربى يزرى بترك المسلمين للتعاون ، وهو يدعوهم إلى أن يتعاونوا على الصورة التى لم يعرف سواها ، ولم يتطلع إلى ما هو أسمى منها وأعظم فان قلب صفحات التاريخ وجد تعاوناً مثالياً تلهث همته ولن تستطيع له رقيا أما المسلمون الآن فليسوا صوراً صادقة للاسلام . فعيوبهم عليهم لا علىٰ دينهم فان رجعوا إلى دينهم سار الغرب فى طريقهم ، فعرف ربهم ودخل فى دينهم .

إن المجتمع الغربى مزرعة خصبة للمنكرات ، تشيع فيه الفواحش والآثام ، حتى ألفوها وألفتهم ، وأبوا الا أن يرسموا لنا مجتمعاً كمجتمعهم يشيع فيه التحلل ، ويمتلىء بالفسوق والعصيان .

لقد ادعوا أن مدينتهم خلصت العالم من الرق ، وكيف والرقيق الأبيض من صنع أيديهم ، وغرس نظامهم ، حتى انفت قوانينهم أن تعاقب على الزنا لأنه كما يقولون ضرورة اجتماعية ، اقتضتها مدنيتهم ، ويسرتها نظمهم .

تبَّت هذه المدنية الشوهاء ، وتبَّ أولياؤها من الغربيين ، وغير الغربيين ، ولا أقول من المسلمين ، فليس مسلمًا من أحل الحرام ، وحرم الحلال ، ورسم للأمة طريق الغواية والضلال ، ليصل بها إلى مهاوى الهلكة والدمار .

إن مجتمعًا يسوده الرجس ، ويملؤه الفساد ، لهو المجتمع الجاهلى الذى حاربه الاسلام وطهر من أوزاره أمة العرب ، فاندفعت مشرقة ومغربة تنادى الناس للفضائل ومكارم الأخلاق ، سمت غاياتهم قسمت وسائلهم ، فما سلبوا ولا نهبوا ولا استعبدوا ولا استرقوا بل ساروا ليستغلوا الناس من ظُلم الحكام إلى عدل الرحمن ، ومن عبادة الأرباب إلى رب الأرباب .

أما الغرب وقد تجمعت له القوة فى غفلة المسلمين فقد سار يبشر بمدنيته الحافلة بالجرائم ، النازعة إلى الشهوة ، الداعية إلى الفجور والفسوق ، فسدت الغاية ففسدت الوسيلة ، لم يعرف التاريخ لهم مأثرة ، وإنما سجل عليهم ما نهبوا واختلسوا ، وما انتهكوا من أعراض ، خزى وعار ، وفضيحة وشنار . انها مدينة تعافها الذئاب . وتستحى من آثامها الوحوش الضارية والسباع الكاسرة .

على رسلكم أيها المفتونون بالمدينة الغربية من أبناء المسلمين الذين لا يعرفون من الاسلام قليلاً ولا كثيرا ، فكانوا حرباً عليه أكثر من أعدائهم ، وأكثر تصنيعاً له من خصومهم أضلهم الله على علم وختم على سمعهم وأبصارهم ، وأولئك هم الغافلون .

عـــدالـة الحـــكم :

إن عدالة الحكم تقوم على عدالة القانون وعدالة الحاكم ، والحاكم إمَّا مطبقٌ للقانون وإمَّا مفسدٌ له .

إن سلطان القانون على الجماهير يقوم على عنصرين لا ثالث لهما : عنصر رومى ، وهو الصلة بين نصوص القانون ، ونفوس الأفراد وقلوبهم ، فيجعلهم يتقبلون نصوص القوانين ، ويقبلون على طاعتها ، ويحرصون على احترامها ، ويشعرون فى ذات نفوسهم أنهم يأثمون بمخالفتها وعنصر الالتزام ، وهو الجزاء الذى يتهمه القانون على مخالفيه ، كالعضوية والتعويض والرد والفسخ والبطلان .

وعلى هذا صارت القوانين أنواعاً ثلاثة النوع الأول ما يقوم على العنصرين الروحى والالزامى وهذا النوع أصلح القوانين وأعدلها لأنه يصلح سلوك الناس ظَاهره وباطنه ، والشريعة الاسلامية خير مثل لهذا النوع ، والنوع الثانى وهو ما يقوم على الالزام وحده ، وهذا النوع ضعيف لأنه لا يتصل بعقائد الناس ومقدساتهم ، والنوع الثالث وهو ما يقوم على الالتزام ويتعارض مع عقائد الناس وفقد سادتهم ، كأن يبيح لهم ما حرم عليهم ، أو يحرم ما أحل لهم ، وهذا النوع يجد حرباً من الشعوب لعدم إيمانهم به ، واعتقادهم ضرره بهم ، كالقوانين التى تبيح الربا وشرب الخمر والزنا وتشجع على الجرائم الخُلُقِيَّةِ ، وتطارد كل فضيلة وتحمى كل رذيلة .

وقد بذر المستعمرون هذا النوع من القوانين ، ليهدموا الأمم المغلوبة على أمرها ويحولوا بينها وبين قوتها ونهوضها ، ويسلبوا الأقوات من أفواه أبنائها ، كما فعلوا بنا أيام الحرب الماضية ، وقد

سهرت على حماية هذه القوانين حكومات وطنية ، حققت للمستعمر غايته ، وأدرك رجالها منافعهم الشخصية ، ومآربهم الشهوانية وباء الشعب بالذل والهوان ليتجرع مرارة الجوع والحرمان .

عـــدالة الحـــاكم :

لا تتم عدالة الحكم الا بالحاكم الصالح بعد القانون الصالح ، إذ أنه أداة العدل والانصاف وهو أول من يستظل بظل الله يوم القيامة « **يوم لا ظل إلاّ ظله** » .

إذا اختار أهل الشورى اماما وبايعوه ثبتت له الامامة بالبيعة ، وتنحصر واجبات الامام على كثرتها فى واجبين : أحدها اقامة الاسلام ، والآخر إدارة شئون الدولة فى حدود الاسلام ، وقد بين رسول الله ﷺ خطر هذه المسئولية فقال : « **ما من عبد يسترعيه الله رعية ، فيموت يوم يموت وهو غاشٌ رعيته الا حرم الله عليه الجنة** » وقال : « **انكم تستفرحون بالأمارة وستكون عليكم خسرة وندامة يوم القيامة فبئست المرضعة وبئست الفاطمة وقد عظم الاسلام شأن العدل وجعله أساس الحكم : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾**[1] . **﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ﴾**[2]

وقال : **﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَآءَ**

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٨ .
(٢) سورة النحل : الآية ٩٠ .

بِٱلْقِسطِ ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .﴾[1]

كما نفر من الظلم وجعله مؤذنا بهلاك الأمم وضياع الممالك ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا .**﴾[2] وفى الحديث القدسى : « **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** » وقال (ﷺ) : « **الظلم ظلمات يوم القيامة** » ولقد ورد التحذير من الظلم فى كتاب الله أكثر من مائة مرة لقد تعامل الناس بالظلم زمناً طويلاً فلما طفحت أعراض الظلم حسبوها أمراضا لا أعراضا ، ونادراً بعلاجها ، هذه الأعراض هى الفقر والجهل والمرض ، وقد شغل الحاكمون بالأعراض عن الأمراض فلم ينفع الدواء ، ولم يحسم الداء .

لقد أخذ المسلمون بالنظم الغربية فى الحكم وادارة شئون البلاد ، كأن لم يكن لنا ماض مجيد فى عدالة الحكم وصلاحيته ، لأنهم خلعوا على الغرب كل كمال ونسيو لأنفسهم كل نقص .

إن ذلك من آثار السيطرة الغربية على شئون التربية والتعليم ، حتى صار كثير من رجالنا أبواقاً للمستعمر بردرون مذاهبه ، ويشيدون بنظرياته .

هذه رسالة عمر إلى أبى موسى الأشعرى ، تضع أصول المساواة أمام القانون : يقول فيها : « آسى بين الناس فى وجهك

---

(١) سورة المائدة : الآية ٨ .
(٢) سورة طـه : الآية ١١١ .

وقولك ومجلسك . حتى لا يطمع شريف فى حيفك . ولا ييأس ضعيف من عدلك ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالا» .

وهذه قصة على مع اليهودى الذى قاضاه إلى عمر ، فيقول له عمر قم يا أبا الحسن وقف بجوار خصمك حتى أقضى بينكما ، فيقوم على حتى تنتهى المحاكمة ، فيعود إلى مجلسه الأول ، وقد بدت عليه امارات الغضب ، فيلتف إليه عمر ويقول : «أكرهت ما كان يا أبا الحسن» : قال نعم : قال : «وماذا أنكرت على ؟ قال أنكرت عليك ؟ أنك كنيتنى فى حضرة خصمى فقلت قم يا أبا الحسن هلا قلت قم يا على وقف بجوار خصمك ؟ فسر عمر سروراً عظيماً ، وقام إلى على وقبله بين عينيه ، وقال : «بأبى وأمى بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور» .

لقد فتن الناس بالديمقراطية ، ونسوا صلاح الحاكم ، فسلطه الله عليهم ، فصار لهم سوط عذاب ، ومباءة ظُلم واعنات ، حتى ضجت الأمة من حكام لا يرقبون فى مؤمن الا ولاذمة ، وأولئك هم المعتدون ، جانبوا الفضيلة ، وانسوا بالرذيلة ، فاقتدت بهم الجماهير يردون مواردهم ويصدرون عن آثامهم .

إن صلاح الحاكم يقوم على أمرين لا ثالث لهما : دين وكفاية ، فمن لا دين له لا أمانة له ، ومن لا أمانة له لا عهد له ، ومن جرؤ على ربه فعصاه ، وعلى أمانته فخانها ، كأن على الناس أَجرأ ومن ضيع حق الله كان لحقوق العباد أشد تضييعاً .

ثم التبس عليهم الأمر فظنوا الكفاية عنصراً واحداً هو العلم وحده ونسوا أنها ذات عنصرين علم واخلاص ، وقد يغنى الاخلاص فيسخر العلم ، ولا يغنى العلم عن الاخلاص لأن الأخلاص لا يعرف التسخير وقد رأينا كيف كان العلم وحده فى ماضينا البغيض عند من لا اخلاص لهم تسخيراً للشعب يأكلون أمواله بالباطل ، ويضيعون عليه حقوقه ، ويسومونه سوء العذاب ، وصار العلم مطية لمآربهم وشهواتهم ، وسبيلا لتغطية جرائمهم وآثامهم .

آثـار الإيمـان

إذا تم بناء الايمان ، وقويت دعائمه ، تجلت للناس آثار أربعة ، كل منها يكشف عن الايمان فى قلب المؤمن ، وكل منها ضياء يرشد إلى النور والاشراق ، فلا ضياء بلا نور ، ولا نور بلا ضياء ، ولذا كان المؤمن كما وصفه النبى الأمين ـ كالأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب .

الأثر الأول ـ الأخـوة الصـادقـة :

هى الثمرة الأولى للدعوة الاسلامية ، وقد عنى بها الرسول ﷺ لتكون أساساً للجهاد . فاذا تماسكت هذه الأمور الثلاثة ، والتحم ما بينها ، جاءت الثمرة لهذا الغرس الطيب وهى النصر ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1]

فاذا صحت الدعوة ، وسلمت الأخوة ، وخلص الجهاد ، هبط النصر على المسلمين لا يعوقه معوق ، ولا يحول بينه وبين المسلمين حائل .

---

(١) سورة الروم : الآية ٤٧ .

لقد كان الكفار يعتقدون أن الهزيمة لا تعرف طريقها إلى المسلمين ، وأن المسلمين لا يعرفون طريقهم إليها ، فلما نام المسلمون عن دعوتهم ، اختلت أخوتهم ، مصدر وحدتهم وجماع قوتهم ، وباعثه عزتهم ، وتركوا جهادهم تخلف النصر عنهم ، واستبدل أعداؤهم بالخوف منهم الجرأة عليهم ، فغلبوهم على أمرهم ، واحتلوا أوطانهم ، وعملوا على هدم هذه الأركان حتى لا تقوم لهم قائمة ، ولا يظفروا بما وعدهم الله من النصر والعزة والغلبة ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلى العظيم .

إن الأخوة ثمرة الايمان القلبية ، والجهاد ثمرته العملية ، والنصر هدية ربانية ، وان الأخوة حصن حصين للمجتمع ، تصونه وتحفظه ، تقدم له الخير وتدفع عنه الشر . وأن القرآن جعل هذه الآثار أوصافا للمؤمنين ، أما أركان الايمان فقد أمر بها فقال ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾[1] وأما فى الأخوة فقال : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾[2] ... « وكذلك فى الجهاد حيث قال : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾[3] .

لقد ادعى الغربيون زوراً وبهتانا أن الاخاء ، والحرية والمساواة من ثمار الثورة الفرنسية ، وجهلوا أن الاسلام يسطر للناس إخاء صادقاً منبعثاً من القلب ، تتلاشى أمامه المنافع المادية ، التى لا

---

(١) سورة محمّد : الآية ٣٣ .
(٢) سورة الحجرات : الآية ١٠ .
(٣) سورة الحجرات : الآية ١٥ .

يعرف الغرب سواها .

إن الاخاء الغربى ليس اخاء إنما هو عصبية جنسية تارة ، وعصبية مذهبية تارة أخرى ، أما العصبية الجنسية فقد ترجمت إلى القومية التى نادى بها الغرب ، ثم نُكِبَ بها المسلمون ، فتمزقت وحدتهم ، وذهبت جامعتهم وضاعت أواصرهم الروحية .

لقد حرم الاسلام العصبية ، وحاصرها فى جميع منافذها : « **ليس منا من دعا إلى عصبيته ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبيته** » ويقول : « **لا عصبية فى الاسلام** » والله تعالى يقول : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ (١)

أما العصبية المذهبية ، فقد طلعت على الغرب بتلك المبادىء التى جلبت عليهم البلاء والشقاء يتحاربون من أجلها ، ويفنون فى سبيلها ، وقد ظنوها خيراً وبركة عليهم ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ، بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (٢)

هذا شأن الغرب مع مبادئهم التى نفثوا سمومها فى بلادنا ، حتى ألقوا فى روع تلاميذهم من المسلمين أنه لا خير وراءها ، ولا نعيم يرجى من غيرها ، وأما الاسلام ومبادئه فشىء لم يكن لنا ولم نكن

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٢) سورة الأحقاف : الآية ٢٤ .

له ، لأن الزمان دار بأهله ، وما صلح للبوادى فى القرون الخوالى لم يصلح لمدينة القرن العشرين مدينة العلم والاختراع .

حقاً انها مدينة العلم والاختراع لتدمير العالم وفنائه ، لا لراحته واسعاده .

ان الاشعاع الذرى يحمل فى طياته فناء البشرية وشقاءها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (١)

هل من عودة إلى الاخاء الاسلامى الذى يجعله الرسول ﷺ الايمان كله « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره لأخيه ما يكره لنفسه » .

إن هذا الأدب الاسلامى الحكيم مع سهولته ويسره يضمن للناس السعادة فى أرقى صورها وأكرم أوضاعها .

إن هذا الخُلق الاسلامى الحصيف علاج مشكلات المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها هل يستقيم معه حقد أو حسد ، أو أذى بل يستقم معه حب ووفاء وتراحم ، أمور لا يعرف العالم طريقه إليها ، لأنه عرف طريق الحقد والأذى ، والشر ، واخترع لذلك المدمرات والمهلكات حتى يتم النصر للحقد والأذى والشر .

ويومئذ يدمر الله الأرض بمن عليها وما عليها ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٤٤ .
(٢) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

الأثـر الثـانى ـ الجهـــاد :

ثمرة الايمان العملية ، لأن الحياة الأرضية قائمة على التنازع والمغالبة كما قدمنا ، والانسان تحيط به اعداؤه من كل جانب ، وأقرب أعدائه إليه نفسه التى بين جنبيه ، فلا بد من مغالبتها ، لجذبها إلى الخير عاجلة ، أو آجلة ، وقد يتعارض الخير مع الشهوة ، والشهوة لاصقة بالنفوس ، ملازمة لها ، فهى تجنح إلى اللذة العاجلة وأن أعقبها ندامة آجلة ، ولهذا كانت النفس أمارة بالسوء ، محرضة على الفسوق والعصيان ، فكان الجهاد دواء لدائها ، وعلاجا لمرضها ، وهذا هو الجهاد الأكبر ثم تكون المغالبة مع من تجب عليك رعايته ، من الأقربين أو المحتاجين « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يعرض رغبته فى الخروج مع المجاهدين فسأله الرسول أحى والداك؟ قال نعم ، قال ففيهمَا فجاهد .

وبعد جهاد النفس والهوى يكون جهاد ﴿**ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ . ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ . مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ**﴾ (١)

لقد عظم الله شأن الجهاد فقال : ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (٢)

---

(١) سورة الناس : الآيات ٤ ـ ٦ .
(٢) سورة الصف : الآيتان ١٠ ـ ١١ .

إن الجهاد هنا عام فى كل ما تجب مغالبته ، من أعداء الداخل والخارج ، أى داخل النفس وخارجها ، ولهذا شرع الله قتال الأعداء فقال : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ (١) وقال ﴿وَقَاتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ، وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

وقد بين الله شأن المجاهدين الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ، فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ، وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (٣)

ما فرض الله الجهاد إلاّ ليخلص البشرية من جبروت العبودية ، كانوا يفتحون البلاد لأهلها ، يردون إليهم حريتهم المسلوبة ، وأموالهم المنهوبة ، ويصونون أعراضهم ويحافظون على شرفهم ، فلا سيد ولا مسود ، الناس لآدم وآدم من تراب لقد فتح المسلمون البلاد بدينهم وأخلاقهم ، قبل أن يفتحوها بسواعدهم وقوتهم ، أراد المقوقس أن يعرف أحوال المسلمين القادمين لفتح مصر ، فأرسل إليهم رسله ، فلما عادوا قالوا له : « وجدنا قوماً الموت إليهم أحب من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، لا يعرف المولى من العبد إنما جلوسهم على الأرض وطعامهم على ركبهم ، إذا

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٣ .
(٢) سورة التوبة : الآية ٣٦ .
(٣) سورة التوبة : الآية ١١١ .

نودى للصلاة لم يتخلف عنها واحد منهم ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون إلى الله فى صلاتهم » .

فقال والله لو أراد هؤلاء أن يزيلوا الجبال لأزالوها ، ولا قبل لأحد بمقاومتهم» . وهذا رسول الله ﷺ ، ينذر المتخلفين عن الجهاد فيقول :

« مَا تَرَكَ قَومٌ الجِهَادَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ إِلَّا ذلُّوا »

إنَّ الجهاد كما يكون قتالاً للمشركين ، يكون أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾[1]

خطب أبوبكر رضى الله عنه فقال : « أيها الناس إنكم تؤوِّلون هذه الآية غير تأويلها : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ** ﴾[2] وانى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « **إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك الله أن يعمهم بعقابه** » .

إن رسول الله ﷺ ، يصف حال المؤمنين فى آخر الزمان ، وقد فرطوا فى دينهم ، وتركوا جهادهم ، فيقول : « **كيف أنتم إذا طغى نساؤكم ، وفسق شبابكم ، وتركتم جهادكم** » . قالوا : وذلك

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .
(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٥ .

كائن يا رسول الله ، قال : « **نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون** » . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ، قال : « **كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر** » . قالوا : وذلك كائن يا رسول الله ، قال : « **نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون** » . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ، قال : « **كيف أنتم إذا رأيتم المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً** » . قالوا : وذلك كائن يا رسول الله ، قال : « **نعم وأشد منه سيكون** » . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ، قال : « **كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف** » . قالوا : وذلك كائن يا رسول الله ، قال : « **نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون** » . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ، قال : « **قال الله حلفت بى لأتيحن لهم فتنة أدع الحليم فيها حيران** » [1]

لقد لبس المسلمون الفتن التى تزاحمت على أبوابهم حتى ألفوها وألفتهم وفاتهم أن الله يقول : ﴿**وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [2]

ونسوا قول الرسول الأمين : « **أفضل الأعمال بعد الإيمان الجهاد فى سبيل الله** » وقوله : « **لتأمرون بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم** » .

---

(١) انظر الحديث فى كتاب الإشاعة فى أشراط الساعة .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٦٩ .

لقد حبب إليهم الرسول الموت فى سبيل الله تعالى فقال : «**لولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل** » ولقد كان يدعوا لله أن ينزله منازل الشهداء فيقول : « **اللهم أنزلنى منازل الشهداء** » .

اللهم خذ بيد هذه الأمة إلى الجهاد فى سبيلك والعمل بدينك ، انك على كل شيء قدير .

الأثـر الثالث : الحب فى الله والبغض فى الله :

من ثمار الايمان أن تحب المرء لا تحبه الا لله . وأن تكره المرء لا تكرهه الا لله ، بهذا وصف الله رسوله والمؤمنين : ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ**﴾[1]

قال ﷺ : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها ، وأن يحب المرء لا يحبه الا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف به فى النار** » ان الحب فى الله مظهر الأخوة الصادقة التى هى الأثر الأول للايمان ، فلا أخوة بلا حب .

ان الحب رباط الأخوة ، وهو عاطفة نفسية ، تغرسها الموافقة فى الأخلاق والعادات ، فمن توافقت أخلاقهم وعاداتهم تآخوا ، وإذا تآخوا فقد تحابوا .

---

(١) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

لقد حاول أعداء المسلمين أن يفرقوا بينهم فى الأخلاق والعادات حتى يتباينوا وإذا تباينوا تنابذوا ، وإذا تنابذوا فقد تفرقوا واختلفوا « **تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى** » لقد استخدم هؤلاء الأعداء فى اشعال الفرقة بينهم ، فعددوا ألوان ثقافتهم وعاداتهم وأخلاقهم .

إن اختلاف الأزياء ليس الا رمزاً لاختلاف الثقافات ، والأخلاق والعادات ولن تجد أمة فى مثل أزيائنا ، اختلافا يبعث على السخرية والأزدراء .

وقد كان المسلمون ، وكان الايمان طابعهم ، فتوحدت ثقافتهم ، واتحدت أخلاقهم ، وتجانست عاداتهم وطبائعهم ، فأشرقت الوحدة فى قلوبهم وعقولهم ، وظهرت آثارها فى أخلاقهم وأعمالهم .

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (١)

فهذا التأليف القلبى أساس الأخوة ومبعث الحب الروحى الذى لا تنفصم عراه ولا تنقطع أواصره .

أما البغض فى الله ، فهو مكمل للحب فى الله ، وقد نزه الله المؤمنين عن مودة أعداء الله مهما كانت الروابط الطبعية بينهم ، **﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوٓاْ آبَاءَهُمْ ، أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ**

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٣ .

فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَـٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقد نهى الله عن موالاة الآباء والأبناء إذا كفروا بالله وبرسوله ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ . قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾ (٢)

وقد حرم الله موالاة الكفار ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)

ثم وصف الذين يحالفون الكفار بالنفاق ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ، فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ، فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (٤)

وقال جل شأنه ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ،

---

(١) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٢) سورة التوبة : الآيتان ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٥٢ .

فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[1]

وقد بين الله سبب ذلك من كراهة الكفار للمؤمنين ، وحرصهم على أذى المؤمنين ، والخلاص منهم ، ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2]

وقال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[3]

ثم حذر المسلمين من الركون إليهم والاستعانة بهم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ . هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ . إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[3]

يقول حكيم الاسلام جمال الدين الأفغاني : « **إن الغرب على**

---

(١) سورة النساء : الآيتان ١٣٨ ــ ١٣٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٠٥ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

(٤) سورة آل عمران : الآيات ١١٨ ــ ١٢٠ .

اختلاف أممه وشعوبه عرقاً وجنسية ، هو عدو مقاوم مناهض للشرق على العموم وللأسلام على الخصوص ، فجميع دوله متحدة معاً على دك الممالك الاسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وإن هذه الشعوب متفقة على عداء الاسلام ، وروح هذا العداء متمثلة بجهد جميع هذه الشعوب جهداً خفياً متوالياً لسحق الاسلام سحقا ».

هنا يدرك المسلمون مبلغ الشطط الذى وقعوا فيه من التحالف مع الكفار والركون إليهم ، والاعتماد عليهم فى شئونهم ، يحتمون بقوتهم كما تحتمى الفريسة بالسبع ، أو كالمستجير من الرمضاء بالنار .

وإن لنا فى هيئة الأمم عبرة وعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لقد أقرت العدوان الاسرائيلى الغاشم وجعلته حقاً للغاصب الأثيم ، فلما ترتب عليه أمر يتصل به ، وهو تنظيم هذا العدوان الصارخ ، ولم يرض الصهيونيون عن هذا التنظيم . صمت هيئة الأمم آذانها وأعرضت عن أنين المسلمين ، وعويل حلفائهم من المسلمين المستضعفين الذين ركنوا إليهم ورضوا بمواثيقهم ، وما مواثيقهم الا الأكاذيب يخادعون المسلمين ليصرفوهم عن وحدتهم ، ويصرفوهم عن دينهم : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾[1]

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٣٦ .

وإنى أقولها صريحة مدوية للمخدوعين من أبناء أمتنا الذين حالفوا الكفار ، واتخذوهم أولياء من دون المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا . إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١)

لقد أزال المسلمون الحواجز الربانية بين المؤمنين والكافرين حتى طغى الكفر على الايمان واستبد الباطل بالحق ، وسرى الشك فى اليقين ، وانصرف الناس عن عبادة رب العالمين .

قد يتوهم صغار النفوس ضعاف العقول أن تحريم موالاة الكفار تتنافى مع العدل وحسبهم هذه القاعدة القرآنية فى تثبيت العدالة وضمانها للعدو قبل الصديق ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٢)

فتحريم ولاية الكفار المراد به عزل الأصحاء عن المرضى حتى لا تنتقل العدوى ، وأمراض الأرواح أنكى وأخبث من أمراض الأجسام ، ولكن المادين لا يعرفون الا أجسامهم ، ولا يخافون الا عليها ، ولا يقررون مبدأ العزل الصحى الا من أجلها ، أما الأرواح فلا يؤمنون ولا يعترفون بصحتها أو مرضها .

وكذلك لا يتنافى تحريم موالاة الكفار مع البر والله تعالى يقول : ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) سورة النساء : الآيتان ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٨ .

﴿ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1] .

وهذا رسول الله ﷺ ، وقد بشر المسلمين بفتح مصر يوصى بقبطها خيراً « **إنَّ الله سيفتح عليكم بعدى مصر ، فأوصيكم بقبطها خيراً ، فان لكم منهم نسباً وصهراً** » وكان له جار يهودى ، فكلما أولم وليمة ، قال : « **لا تنسوا جارنا اليهودى**» .

وهذا عمر رضى الله عنه يحيى هذه السنة الاسلامية ، فيفرض لليهودى فى شيخوخته راتباً من بيت مال المسلمين ، ويقول أكلنا شبابه ، ونترك شيخوخته ، أعطوه من مال المسلمين» .

أية كفالة انسانية هذه التى شرعها الاسلام ، وعمل بها حكامه الأولون قبل أن يحلم الغرب بما يسميه حقوق الانسان بأكثر من ألف سنة .

إن الاسلام كنز ملىء خيراً وعدلاً وبرا للمسلمين وغير المسلمين ، فلا يجد أبناء الاسلام فى تيه الضلال يفتنون كما فتن الغربيون عن قواعد الخير والعدل والبر ، فانهم ما وصلوا إلى قطرة من بحر الاسلام الزاخر **﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾** .

الأثر الرابع ـ الحكم بكتاب ٱللَّه :

شأن المؤمن أن يطيع الله فى كل ما جاء به الدين : **﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾**[2]

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ٨ .

(٢) سورة النور : الآية ٥١ .

إن الله جلّت قدرته خلق الخلق لطاعته وعبادته ، وهو بهم رحيم ، يشرع لهم ما يضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة ﴿**وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ، وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [١]

لقد أقسم الله بذاته ﴿**وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾ على أن الذين لا يحكمون بينهم كتاب الله ، وسنة رسول الله ليسوا مؤمنين : ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [٢]

إن مقتضى الايمان الطاعة ، ودليله الثقة ومن لم يحكم بما أنزل فهو عاص لربه غير واثق بشرعه ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا**﴾ [٣]

فالمعرضون عن شريعة الله من المسلمين منافقون فى الدرك الأسفل من النار لقد حكم المسلمون بينهم شريعة الله دهراً طويلا ، كانوا فيه خير أمة ، أخرجت للناس صلاحاً وتقوى ، وعدالة ، وقوة سياسية واقتصادية ، فلما فرطوا فى دينهم ، واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به عند ذلك اختلت أمورهم ، وساءت أحوالهم ، وذهبت

---

(١) سورة المائدة : الآيتان ٤٩ ـ ٥٠ .
(٢) سورة النساء : الآية ٦٥ .
(٣) سورة النساء : الآية ٦١ .

ريحهم ، وضاعت قوتهم ، واستطاع اعداؤهم أن يتحكموا فى رقابهم ، ويتصرفوا فى شئونهم ، وفرضوا عليهم حصاراً محكماً حتى لا يفلتوا من حبائلهم ، ثم عبثوا بمقوماتهم ، ونقشوا السموم فى علومهم وثقافاتهم وحطموا تراثهم ، وأغروهم بالمنكرات والمفاسد ، حتى يضمنوا شقاءهم ، ويطمئنوا إلى ضعفهم ، حتى إذا الجئوا إلى الجلاء عن أراضيهم بقيت سمومهم تسرى فى قلوبهم وأرواحهم فتنال منهم أضعاف ما نال العدو بعـدته وعدده ، وهذا هو الاستعمار الأكبر . الذى يعمل الاسلام على تحرير المسلمين من آفاته وتخليصهم من براثنه .

إن الموبقات والمنكرات التى تعيش فى جسم الأمة الاسلامية أخطر عليها من عدوها لقد أدرك هذا عمر رضى الله عنه فى وصيته لجيشه «أحذركم من المعاصى فانها أخوف عليكم من عدوكم : فانما تنصرون بفضل طاعتكم لله ومعصيته عدوكم له ، ولا تقولوا ان عدونا شرمنا ولن يسلط الله علينا من هو شر منا ، فان بنى اسرائيل لما عملوا بالمعاصى ، سلط الله عليهم المجوس عباد النار وهم شر منهم ﴿ **فَجَاسُواْ خِلَالَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا** ﴾ [1]

إن رسول الله ﷺ برسم حدود الطاعة كما رسمها الاسلام : السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصيته ، فان أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة ثم يدفع المسلمين إلى الشجاعة السياسية فيقول : أفضل الجهاد كلمة حق تقال عند امام جائر » .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥ .

وإذا كانت الشريعة الاسلامية لخير المسلمين وسيادتهم ، فمن لا يأخذ بها فهو كافر بربه فاسق عن أمره ، ظالم لنفسه ولأمته قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾ وفى آية ثانية ﴿ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾ وفى آية أخرى : ﴿ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾[1]

لقد أخذنا بقوانين الغرب فى عقوبات الجرائم فما ازدادت الجرائم الا انتشارا وما ازداد المجرمون الا كثرة حتى ضاقت بهم السجون ، وحتى صارت السجون عزاء لهم عما افلت من أيديهم مما حرصوا على سرقته وحيازته ، واعجب العجب أن الحياة فى السجن قد تكون خيراً من حياة المجرمين فى منازلهم .

إن شريعة الاسلام لا تعاقب المجرم المحتاج ، أو المحتاج المجرم . ولكنها تعاقب المجرم الغنى قبل المجرم الفقير لأن الأول يسلط غناه على الفقراء فيدفعهم إلى الجريمة دفعاً ، ويسوقهم إلى الشر سوقا .

إن شريعة الاسلام كل لا يتجزأ ، لا تتعاطى بعضاً ، وتترك بعضا ، وقد يكون من وراء ذلك شر مسيطر .

إن جرائم الغنى التى لا تعتبرها القوانين الحديثة جرائم ، أشد من جرائم الفقر بل انها باعثة الفقراء على الجرائم .

أليس منع الزكاة جريمة اجتماعية دفعت أبابكر إلى اعلان الحرب على مانعيها ، وقال قولته الخالدة : « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يدفعونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » أليست هذه الجريمة هى التى

---

(١) انظر الآيات ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ من سورة المائدة .

أضغنت صدور الفقراء على الأغنياء ، فدفعتهم إلى السلب والنهب ، وما إلى السلب والنهب .

أليس اسراف الأغنياء وترفهم ، وانغماسهم فى الشهوات الآثمة هى التى صنعت ألوانا من الجرائم الخلقية بين النساء والرجال .

هل عمرت المراقص والخمارات والملاهى المحرمة الا بأولئك الذين عاثوا فى الأرض فساداً بالأموال التى ظنوها أموالهم ، واعتقدوا أنهم أحرار فيما ينفقون وفيما لا ينفقون .

أليس هؤلاء سفهاء يتصرفون فى أموال الله على غير مقتضى العقل والشرع ، وحكم الله أن ترد أموال الله إلى الله : ﴿ **وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا** ﴾[1]

إن التصرف فى الأموال على هذه الصورة إنما هو الظلم الاجتماعى ، وإنما هو الفسوق والعصيان فمن ترك حكم الله فيهم فهو ظالم لهم ولنفسه ، راض بفسوقهم وفسادهم» .

إن الله أكمل لنا الدين ، وأتم علينا نعمة الشريعة ، فلنعد إلى ديننا ونرجع إلى ربنا ﴿ **وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ ، وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ** .﴾[2]

اللهم نصرك الذى وعدتنا ، ورحمتك التى بسطتها لعبادك المؤمنين .

---

(١) سورة النساء : الآية ٥ .

(٢) سورة غافر : الآية ٤٣ .

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا . ﴾[٣]

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين .

محمد عبدالله فوده

(١) سورة النصر.

الفهـــرس

صدر من هذه السلسلة

الكتاب	المؤلف
١ ـ تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
٤ ـ الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ السيرة النبوية فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ النوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]

الكتاب	المؤلف
٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	[الدكتور عدنان محمد وزان]
٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة	[معالى عبد الحميد حموده]
٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام	[الدكتور محمد محمود عمارة]
٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى	[الدكتور محمد شوقى الفنجرى]
٢٨ ـ وحى الله	[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن	[حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]
٣٠ ـ المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية	[الأستاذ محمد عمر القصار]
٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى	[الأستاذ حامد عبد الواحد]
٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط	[عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى]
٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى	[الدكتور حسن الشرقاوى]
٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها	[الدكتور محمود محمد بابللى]
٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث	[الدكتور على محمد نصر]
٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين	[الدكتور محمد رفعت العوضى]
٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام	[د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر]
٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]


مطبعة رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة